الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة ابن خلدون – تيارت –

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

تخصص فلسفة العلوم

الموضوع:

التأسيس البراجماتي للعلم
جون ديوي أنموذجا

من إعداد الطالبين

- بن طولة مُحَمَّد
- براهيم حياة

إشراف الأستاذ

راتية حاج

أعضاء لجنة المناقشة

أ.حفصة الطاهر.....رئيسا

أ.راتية حاج.....مشرفا

أ.شاذلي هواري .....مناقشا

السنة الجامعية 2015م/2016م

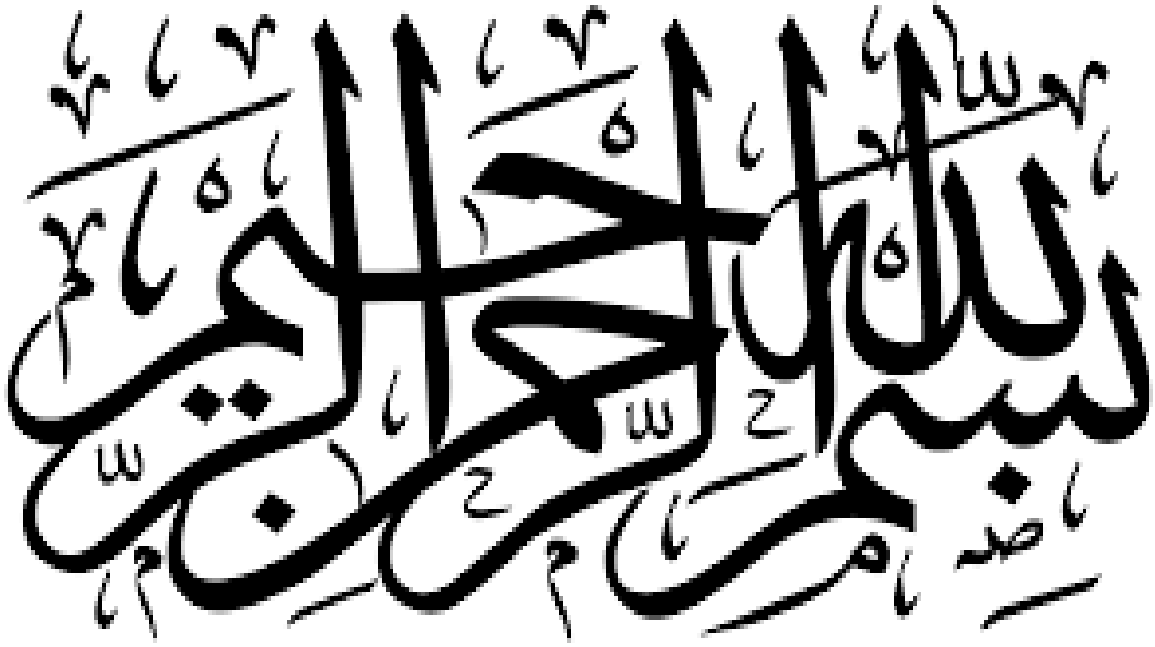
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

لو كنت اعلم أن الشكر منزلة أوفي من الشكر عند الله في الثمن

قدمتها لكم من قلبي مطهرة شكرا على ما أوليتهم من حسن

وضعت قلمي بجانب دفتري لكي اكتب ما ترسمه حروفي من كلمات شكر

وإخلاص جعل الله ما قدمته لنا في ميزان حسناتك كل كلمات الثناء تعجز عن التعبير

شكرا للأستاذ المشرف "**راتية حاج**"

شكرا من القلب شكرا بكل ما تحمله الكلمة من شكر وتقدير شكرا لمن تركوا

بصمة الخير شكرا لكل أساتذة الفلسفة تخصص فلسفة العلوم.

إهداء

قال تعالى : وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا

أمي الحنونة التي عانت الكثير من اجل أن ندرس وننجح، إلى باب الجنة اهدي

هذا العمل الذي لا يساوي شيء أمام ما قدمته لنا منذ صغرنا وحتى الآن،

إلى أبي الحنون الذي بذل جهده واتعب بدنه من اجل ان يوفر لنا لقمة العيش،

إلى من صبر على مرارة الحياة وفقرها وقسوتها،

إلى الوالدين الكريمين أهديهم ثمرة صبرهم على تربيتنا وتعليمنا.

إلى رفقاء الحياة ومؤنسي الوحدة: خالدية، زهيرة، عائشة، فيصل، بن عودة

والى الطلبة الذين درست معهم في جامعة ابن خلدون

إلى كل هؤلاء اهدي هذا العمل وأقول لهم شكرا لكم جميعا

والحمد لله أولا وأخيرا.

مُحَمَّد

إهداء

اهدي هذا العمل إلى الذي قال الله فيهما وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما

إلى والدي العزيزان أدامهما لله لي

إلى من تقاسمت معهم بسمة الحياة إخوتي وأختي والى الكتاكيت: اليأس، منير ، يونس،

عبد المجيد، أميرة ، إشراق

إلى صديقتي التي جمعتني معها أجمل وأورع الذكريات فاطمة

إلى الذين حملتهم ذاكرتي ولم تحلهم مذكرتي.

حياة

مقدمة

مقدمة:

يعتبر"جون ديوي" أحد رواد الفكر المعاصر، وفضلاً على أنه علمًا من أعلام الفلسفة الأمريكية في القرن العشرين، إلا أنه قد كان له الدور الكبير في التأثير على معاصريه في مضمار الفكر الأمريكي المعاصر، وذلك لأنه اهتم بخدمة الفلسفة البرجماتية التي اشتهرت في أمريكا، وحاول تطويرها، وإدخالها في سائر العلوم والثقافات والفنون وحتى الأخلاق والقيم والدين، حيث حاول "جون ديوي" الجمع بين المنهج البرجماتي والخبرة البشرية عن طريق منهج الأداتية وباستعمال وسيلة البحث، ونظرًا لعلاقة العلوم بسائد المناهج فقد حاول ديوي أن يجعل من العلم هو المرجع في سائر أبحاث البشرية، ولكن هذا العلم قد كيف على حسب ما يريده البرجماتي من نتائج، ولذلك نجد أن العلم ارتبط بالمنهج ارتباطا وثيقا، ولذلك نجد "جون ديوي" قد جاء بمنهج الأداتية من أجل دراسة الظروف المحيطة بالتفكير والعمليات الذهنية المتضمنة في النشاط المنطقي، ولذلك خرج من هذه الدراسة بحقيقة جوهرية أساسية هي أن الأفكار، والتصورات والنظريات ليست سوى وسائل وأدوات تنحصر كل قيمتها، بل كل وظيفتها، فيما لها من قدرة على اقتيادنا نحو وقائع وخبرات مستقلة، وهذا يبدوا جليًا في أن "ديوي" لها نزعة تجريبية التي تتخذ نقطة انطلاقها من الخبرة العامة ولذا لابد للفيلسوف من أن يواجه شتى مشكلاته ابتداء من التجربة البشرية العادية، وليس رفض "ديوي" للميتافيزيقا سوى مجرد صدى لنزعته التجريبية المتطرفة، ويرى ديوي بأن البحث هو الطريقة السليمة للوصول إلى الحقائق وتحقيق نتائج مفيدة للفرد والمجتمع، وإنه لم تكن هناك مشكلة فإنه لا وجود للبحث لأن مهمة البحث هو إيجاد الحل للمشكلات، كما نجد "ديوي" يعطي أهمية كبيرة للمدرسة باعتبارها مؤسسة صغيرة تمثل المجتمع الكبير، وأن الديمقراطية عليها أن تنمى داخل أوساط التلاميذ وفي المدارس، وذلك بمشاركة التلميذ في صناعة الدرس ورفض اعتباره كمتلقي للمعلومات فقط، وهذا المنهج التربوي قد استحسنه الكثير من دول العالم وأصبحت تأخذ به في مناهجها التربوية، لأن المدرسة هي من تصنع الأجيال وأفراد المجتمع في المستقبل ولذا لزم الاهتمام بهذه الفئة من أجل بناء مجتمع صناعي ديمقراطي متطور، وذلك إصلاح المنظومة التربوية وتعليم التلاميذ ما يفيدهم في حياتهم، وكذا بما يحتاجه المجتمع

من كفاءات وخبرات لكي يساهموا في تنمية وتحقيق الرفاهية فيه من أجل مواكبة العصر في كل زمان ومكان، لأن العلم يتطور ويتغير وكذلك المجتمع قابل للتغير والتجديد والتطور، وبهذا يكون "جون ديوي" قد طبق الفكر البرجماتي في العلم وفق منهجه الذي اختاره هو.

أهمية الموضوع:

لأنه أصبح فكر يساير العصر ويدخل في سائر إصلاحات المنظومات التربوية عبر أقطار العالم بداية من أمريكا نفسها، وكذا دخول الفكر البرجماتي في سائر العلوم وهذا ما جعلنا نتناول هذا الموضوع حول الفكر البرجماتي عند "جون ديوي" ومدى علاقته بالعلم.

الهدف من البحث في هذا الموضوع:

تبيان أهمية فكر "جون ديوي" وتأسيسه للعلم وتوضيح منهجه في البحث الذي له علاقة وثيقة بالواقع وبمصلحة الفرد والمجتمع، وكذا من أجل المساهمة في نشر هذا المنهج خاصة في المجال التربوي الذي قد أجاد فيه "جون ديوي" وأفاد، وكذا في سائر العلوم السياسية والاجتماعية والأخلاقية، وتوطيد أسس الديمقراطية في المدرسة وفي المجتمع من أجل الوصول إلى مجتمع صناعي ديمقراطي متحضر ومتطور، ومن خلال ما ذكر.

تحديد الإشكال:

كيف أسس جون ديوي للعلم من خلال فكره البرجماتي؟، وبماذا تميز ديوي عن سابقيه البرجماتيين في التأسيس للعلم والتنظير له، وهذه الإشكالية تتخللها مجموعة من التساؤلات الفرعية مثل: كيف نظر جون ديوي إلى نظرية المعرفة، ونظرية العلم ونظرية المنطق، وما هي الآفاق والأبعاد لهذا الفكر البرجماتي لجون ديوي، وبهذا يمكن وضع بعض الفرضيات التي يمكن أنه أراد أن يأتي بالجديد وبما يخدم العلم والمعرفة ومنهج البرجماتية وكذلك قد يكون ديوي أراد لفكره أن يكون فكرًا عالميًا

وليس مقتصرًا عل أمريكا فقط، كما يمكن أن نقول عنه أنه بفكره البرجماتي يراد أن يؤسس للعلم منهجًا جديدًا يخدم العلم، وكذا الفرد والمجتمع وله علاقة وثيقة بالواقع.

الدراسات السابقة:

وقد تناول "جون ديوي" الكثير من الدراسات السابقة في محاولة منهم كشف الغموض والالتباس عما أشكل من فلسفة "جون ديوي" ومنهجه الجديد في التأسيس للعلم، ومن ذلك نجد رسائل (ماجستير والدكتوراه) منها:(برجماتية وليم جيمس، دراسة تحليلية نقدية للطالبة أم كلثوم يوسف) و(الفردية في الفلسفة البرجماتية، دراسة ناقدة، للطالب نايف بن عبد الرزاق) حول جون ديوي، وكتاب "جون ديوي" لأحمد الأهواني، وكتاب الخبرة للجديدي.

صعوبات البحث:

فيما يخص الصعوبات فإننا لم نجد صعوبات كثيرة نظرًا لوفرة المادة العلمية ووجود الكثير من المصادر المترجمة والمراجع المتوفرة ما أتاح لنا الفرصة حول الإطلاع على أكبر قدر ممكن من المراجع كي نثري هذا الموضوع أكثر من أجل أن نوفي المقصود بالبحث حقه قدر ما استطعنا، وإن كان هناك صعوبة فهي متمثلة في ضيق الوقت وتضارب الأقوال حول جون ديوي بين مؤيد ورافض.

المنهج المتبع في البحث:

لقد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التحليلي والنقدي لأننا أردنا أن نسهب في فكر "جون ديوي" وتأسيسه للعلم والمراحل التي نمر بها في ذلك ثم أردنا أن نهتم بالجانب النقدي باعتبار أنه لا يوجد عمل كامل أو فكر سليم من الأخطاء وأن كل فكر يتأثر بمن قبله إما تأييدًا أو نقدًا، فالفكر تراكمي وهو يبني بعضه على بعض وبمفهوم "جون ديوي" عن طريق الخبرة السابقة تنبني خبرات جديدة.

هيكلة البحث:

لقد تناولنا في الفصل الأول: الجذور الفكرية للفلسفة البرجماتية وقد كان ذلك في ثلاث مباحث، الأول حول نشأة البرجماتية من القديم وإلى الوقت الراهن، وكذا في علاقتها بالفلسفات القديمة والحديثة المتنوعة، أما المبحث الثاني فذكرنا أبرز مبادئ البرجماتية عند كل واحد من رواد هذه الفلسفة، في المبحث الثالث لهذا الفصل فقد كان مخصصًا لذكر أهم رواد هذا الاتجاه البرجماتي، أما في الفصل الثاني فقد اقتصرنا على دراسة "جون ديوي" وتأسيسه للعلم وذلك أيضًا في ثلاث مباحث فالأول كان حول نظرية المعرفة عن "جون ديوي"، والثاني خاص بنظرية العلم ونظرًا لأهمية نظرية المنطق عنده فقد جعلناها في المبحث الثالث من هذا الفصل، في حين جعلنا الفصل الثالث خاص بذكر القيمة الإيبستيمولوجية لنظرية العلم عند "جون ديوي"، فافترضنا لذكر ذلك على مبحثين فقط، الأول عالجنا فيه الأبعاد والقيم لفلسفة العلم عند "جون ديوي"، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه ذكر الانتقادات التي وجهت لهذا المفكر وهذا الانتقاد ليس رفضًا لفكره أو انتقاما من شأن "جون ديوي"، وإنما لذكر مآخذ والسلبيات التي قد غفل عنها صاحبها أو أهملها عمدًا ومدى صلاحية هذا الفكر في خدمة العلم والتأسيس له وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها كتاب "إعادة بناء الفلسفة" لجون ديوي، وكتاب "أعلام الفكر الفلسفي المعاصر" لفؤاد كامل، "البرجماتية عرض ونقد" لمنصور بن عبد العزيز الحجيلي، "المدرسة والمجتمع" لجون ديوي.

وبهذا كان اعتمادنا لإخراج هذا البحث في أحسن حلة نستطيع أن نصورها عن الموضوع فإن أصبنا فمن الله ومن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسها، ولذا ندعو الله أن يعلمنا ما لم نعلم وأن يلهمنا الفهم والحكمة فيما يعلمنا وفيما نعلم.

الفصل الأول: الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية

المبحث الأول: نشأة البراجماتية.

المبحث الثاني: ابرز مبادئ البراجماتية.

المبحث الثالث: رواد الفلسفة البراجماتية.

تمهيد:

لقد هيمن على الحياة العقلية في أمريكا الشمالية ما يعرف بالفكر البرجماتي، وهو مذهب فلسفي معاصر يرى أن العقل لا يستخدم استخداما صحيحًا إلا عندما يقود صاحبه إلى العمل الناجح والنافع، وبذلك أصبحت القارة الجديدة قد تحررت من هيمنة الفلسفة الأوربية عن طريق تأسيس فلسفة خاصة تعرف بها عبر العالم .

كما أن أقطاب البرجماتية أمريكيين وهم ثلاثة: فلا تكتمل صورة الفلسفة البرجماتية إلا بهم "تشارلز ساندرز بيرس" و"وليم جيمس" و"جون ديوي" أما أولهم فقد وضع الأساس وابتكر الاسم لهذا الاتجاه، وأما ثانيهم، فقد أقام البناء وأعلى طوابقه طابقًا فوق طابق، وأما ثالثهم، فقد أكمل البناء وجمّله، وأضاف إليه اللمسات الأخيرة [1] .

و مازالت هذه الفلسفة البرجماتية العملية حاضرة ومؤثرة حتى يومنا هذا، بل وصارت مرتبطة ارتباط مباشر بالواقع وغدت مرتكزًا أساسيًا استندت إليه الكثير من المنظومات والتجارب السياسية، كما أنها قد أصبحت أسلوب للحياة وطريقة للتفكير بغض النظر عن ماهية هذه الفلسفة، فالبرجماتية وإن كان لها علاقة مع الفلسفات القديمة إلا أنها تعتبر مفهوم معاصر يهتم بفلسفة الحياة وبواقع الفرد والمجتمع وأهمية العلاقة بينهما، كما نجد أن مفكروها يعكسون وجهة وثقافة المجتمع في الولايات المتحدة الأمريكية.

و من هنا يكتسب هذا الفصل أهمية في الدراسة، فهو بمثابة الاستكشاف الذي يلقي بالضوء على أهم المفاصل الفكرية للفلسفة البرجماتية، ليعطي تصورًا عن مفهوم البرجماتية وخلفية نشأتها ويبين أبرز مبادئها التي قامت عليها ودعت إليها، ويعرف بروادها الذين أسهموا في تأسيسها، وما العلاقة بينها وبين الفلسفات القديمة.

[1] – فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، سنة 1993، ص95.

المبحث الأول: نشأة البرجماتية

نشأتها:

نشأت البرجماتية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، وبداية القرن العشرين في القارة الأمريكية على يد الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرس بيرس"، الذي يعتبر أول من أطلق مصطلح البرجماتية (pragmatism)، وذالك في مقالة له بعنوان:(كيف نجعل أفكارنا واضحة) نشرت في مجلة (بوبيلار ساينس مونثلي) [1].

فيمكن اعتبار البرجماتية أول مذهب فلسفي يمكن أن ينتسب إلى الأرض الجديدة،حيث لعبت هذه الفلسفة دورا خطيرا في الفلسفة المعاصرة، وكان لها أثر واضح في الفكر المعاصر، وحظيت باهتمام كبير من جانب الفلاسفة، وكثر الجدل حول أصالتها الفلسفية وقيمتها في تاريخ الفكر الإنساني [2].

ولكن هذه الفلسفة البرجماتية ليست هي أمريكية الجذور والأصل، وإنما لها امتداد لمدارس كثيرة والتي ساهمت مجتمعة بتكوين البرجماتية حيث كان أول ظهور لها هو في أمريكا وعلى يد فلاسفة أمريكيين .

ولكن تعد الجذور الأولى للبرجماتية هي خارج الإطار المناخي للفكر الأمريكي، حيث: تعد الفلسفة السفسطائية وزعمائها الأوائل أمثال "بروتاغوراس"، و"جورجياس" جذورًا أولى للبرجماتية وذلك أنهم جعلوا الإنسان الفرد هو مقياس الأشياء جميعًا، وهذا ما أكده وليم جيمس في كتابه "البرجماتي" حيث قال:" البرجماتية اسم جديد لطرائق قديمة في التفكير"[3].

---

[1]- نايف بن عبد الرازق بن حمادي، الفردية في الفلسفة البرجماتيه، دراسة تحليلية ناقدة(رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة1433هـ، ص14.

[2]- مُحَمَّد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1984، ص40.

[3]- أم كلتوم يوسف ابراهيم أحمد، برجماتيه وليم جيمس، دراسة تحليلية نقدية(رسالة ماجستير)، كلية الآداب، جامعة الخرطوم سنة 2004، ص 14.

ويعتبر ثلاثة من الفلاسفة الكبار هم أهم روادها وهم "بيرس"، "وليام جيمس"، "جون ديوي" الذين قاموا بحمل الفلسفة البرجماتية على كواهلهم، فكان لكل واحد منهم لون يميزه عن الآخر وإن اتفقوا في أصلها الذي يقوم على أن معيار صدق الفكرة إنما يكون من خلال ما ينتج عنها من نتائج ملموسة[1] .

ولقد ازدهر التيار البرجماتي على الخصوص في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي إنجلترا ثم في فرنسا، فالبرجماتية في تيارها الأمريكي الإنجليزي ليست نظرية في المعرفة وحسب، بل تضاف إليها الأغلب فلسفة الحياة .[2]

فالفلسفة البرجماتية هي: هي فلسفة تصور العصر العلمي الذي نعيش فيه اليوم بصفة عامة وتصور الحياة العلمية التي يعيشها الأمريكيون في مدينتهم الصناعية الحديثة بصفة خاصة [3].

مفهومها:

البرجماتية : هي اسم مشتق من اللفظ اليوناني براجما (pragme) ومعناه العمل، وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، أي الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية [4]، والفكرة المميزة للبرجماتية الفلسفية هي الفعالية في الممارسة مسالة" ما الذي يعمل بطريقة أكثر نجاعة" توفر بطريقة ما معيارا لتحديد الصدق في حالة الإقرارات الصحة في حالة الأفعال والقيمة في حالة التقويم[5].

[1]- منصور بن عبد العزيز الحجيلي(أستاذ بجامعة طيبة) البرجماتية عرض ونقد، ،مجلة الدراسات العقدية، العدد الرابع، المدينة المنورة، ص65.

[2] - إ. م. بوشنسكي، الفلسفة المعصارة في أوربا، تر:د.عزت قرني، مطابع سياسية، سلسلة عالم المعرفة رقم165 الكويت،سنة1990، ص 193-194.

[3]- منصور بن عبد العزيز الحجيلي، البرجماتية عرض ونقد، مرجع سابق، ص 279.

[4]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، سنة 1982، ص 203.

[5]- دهوندرتش،دليل اكسفورد للفلسفة، ج1، تر: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، ص141-142.

فالبرجماتية مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملا، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق القضية ما هو كونها مفيدة، والبرجماتي بوجه عام وصف لكل ما يهدف إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة[1].

ولهذا فأصل هذه الكلمة (البرجماتية) يوناني، وقد اشتقت من "براجما"، ومعناه العمل والبرجماتية في العصر الراهن مذهب أو منهج، ويتلخص بأنه ينكر الواقع وحكم العقل ويقيس الحق والصدق والخير والواجب بما يحقق للفرد أو الجماعة من ميول ورغبات[2].

فكلمة برجماتية قديمة ومستعملة بمعان مختلفة إلا أن المعروف عنها الآن وارد في مقال للفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس" بعنوان "كيف نوضح أفكارنا " فيقول:" إن تصورنا لموضوع ماهو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا أكثر "، وهذا يعني أن علامة الحقيقة أو معيارها: العمل المنتج لا الحكم العقلي[3].

وعند "جون ديوي" البرجماتية تدور على أن نتيجة الفعل داخلة في تكوين صدق قضية، وأن القيم مثل أية قضية تجريبية، يمكن اختيارها.

وقد اقترح "شيلر" على "وليام جيمس" أن يطلق لفظ الإنسانية على البرجماتية في أهم صورها وعلى المعنى الذي أراده "جيمس" في كتابه "إرادة الاعتقاد"[4].

ويعرفها "جون ديوي" بقوله:" إني أؤكد – على سبيل الجزم– أن لفظ "براجماتي" لا يعني إلا قاعدة إرجاع كل تفكير وكل الاعتبارات التأملية–إلى نتائجها للمعنى النهائي والاختبار– على المحك التجريبي"[5].

---

[1]– إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة 1983، ص32 .

[2]– مُحَمَّد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار ومكتبة الهلال ودار الجواد، بيروت، لبنان، ص 140.

[3]– مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 2007، ص137.

[4]– المرجع نفسه، ص 138.

[5]– رالف. ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية(مختارات من مؤلفاته) تر:مُحَمَّد علي العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، سنة 1964، ص45.

ويعرفها أيضًا بقوله:" البرجماتية، كاتجاه، تمثل ما وفق "بيرس" أعظم توفيق في تسميته "العادة المعملية للعقل" وقد امتدت لتشمل كل ميدان في وسع البحث أن يجري فيه بثمرة وفلاح"[1].

وفيما يخص نظرية المعرفة، فإن البرجماتية تنحصر في القول بإنكار أن تكون المعرفة نظرية وتأملية خالصة وفي القول بإرجاع الحقيقة إلى المنفعة، ولكن كل واحد من البرجماتيين يعرض هذه المبادئ على نحو يختص به هو وإن كل برجماتي يرى أن المنفعة والقيمة والنجاح هي المعيار الوحيد للحقيقة[2].

وأما الفكرة البرجماتية عن الحقيقة هي مطابقة تصوراتنا لهذا الجزء أو ذاك من كل جهة ومعطى من قبل يستجيب لما يسمى بالعالم، بل هي بكل بساطة ما يمكن أن يقدمه لنا تصور ما من نفع إذا وضعنا أعيننا هذه النتيجة أو تلك، فالحقيقة تعني قابلية التحقيق، وقابلية التحقيق تعني إمكان هدايتنا في أثناء الخبرة[3].

ولهذا يتكون أصل هذه الفلسفة البرجماتية يوناني من حيث مصدر المصطلح وكذلك الفكر البرجماتية عرفت أول مخاضها على يد "بيرس"، ثم نموها على يد جيمس ونضجها وكمالها عن طريق "جون ديوي" الذي كان أوفرهم إسهامًا وتأليفًا لهذه الفلسفة، وإن كان "جيمس" هو من اشتهر بها ولكن "ديوي" كانت خدمته لهذه الفلسفة أكثر من غيره .

3– علاقتها مع الفلسفات القديمة:

تعتبر البرجماتية كمزيج مختلط نتج عن جهد إنساني من خلال العديد من المدارس الفلسفية منذ العصر اليوناني وإلى غاية العصر الحديث والمعاصر، وذلك لأن العلم تراكمي وتطوري ولهذا نجد البرجماتية قد أخذت أفكارها ومنهجها من العديد من المدارس الفلسفية والتي من بينها المدرسة السفسطائية، وكذا الأبيقورية والرواقية والنفعية، وكذلك المدرسة التجريبية والتي تجلى فيها تأثر الفلاسفة البرجماتية بالمدرسة الإنجليزية وميولهم للمنهج التجريبي الذي أخذوه وأعطوا له صبغة تناسب

[1]– رالف. ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص46.

[2]– إ.م.بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في اوربا،مرجع سابق، ص193.

[3]– إميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، تر:أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1973 ص219.

فلسفتهم وهكذا هو الفكر الإنساني يؤثر ويتأثر بغيره، ولكل منهج له منابعه ومصادره الفكرية التي يتأثر بها ويأخذ عنها ولذلك نجد البرجماتية قد تأثرت بمن سبقها من المدارس الفلسفية وذلك كالآتي:

أ- المدرسة السفسطائية:

يمكن القول إن وجه تأثر البرجماتية بالسفسطائية يعود إلى كلمة (بروتاغوراس) (481-411 ق.م) التي قال فيها:"الإنسان مقياس الأشياء جميعا، هو مقياس وجود ما يوجد منها، ومقياس لا وجود ما لا يوجد"، ويقول "أفلاطون" شارحا عبارة (بروتاغوراس): فالمقصود بالإنسان هنا الفرد من حيث هو كذلك لا الماهية النوعية[1].

فالنتيجة المنطقية لهذه المقولة، هي أن ما يصدق على المعرفة يصدق أيضا على العمل، وأن الفرد مقياس النفع والضر والخير والشر والعدل والظلم، غير أن هذا لا يعني ترك الأمور فوضى.

وإنكار الحكمة والحكيم، فإن من التصورات ما بعضه (خير) من بعض، فما يسمى حقا في العمل هو النافع في وقت معين وظروف معينة[2].

ب – المدرسة الأبيقورية :

وأما عن اتفاق البرجماتية والمدرسة الأبيقورية فقد اتفقتا على مبدأ المنفعة المترتبة عن العمل والتي سمتها الأبيقورية اللذة،ونجد ذلك واضحًا جليًا في قول أبي قورس (ولد 341 ق. م)" تشهد التجربة أننا نطلب اللذة وأن الحيوان يطلبها مثلنا دون تفكير ولا تعليم"، ويوجه أبيقور فلسفته الأخلاقية على أن الأخلاق تهدف إلى السعادة تقوم في الشعور باللذة واللذة خير، وكل ما يؤدي إليها خيراً أيضاً، والألم شر، وكذلك كل ما يؤدي إليه، ولتحصيل السعادة لا بد أولا من إزالة جميع العوائق التي تعترض طريقها[3].

ج – المدرسة الرواقية :

[1]- الطالب نايف بن عبد الرزاق،الفردية في الفلسفة البرجماتية (رسالة ماجستير)، مرجع سابق، ص 22.

[2]- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، سنة 1936 ص60.

[3]- محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1. 1999، ص229.

فيرى الرواقيون وعلى رأسهم "زينون" (432 – 270 ق.م) مؤسس المدرسة الرواقية،" على أن الفضيلة في الحياة هي بمقتضى العقل والأخلاقيات هي ببساطة الفعل العقلاني، إن العقل الكوني هو الذي يدبر حياتنا وليس الهوى والإرادة الذاتية للفرد "، كما نجد الرواقيون نظروا إلى الانفعالات على أنها لا عقلانية تمامًا، وطالبوا بمحوها محوًا تامًا[1].

فهم يقولون بأن العقل هو أكمل الطرق لتحقيق أسمى الغايات، فوظيفة الإنسان أن يستكشف في نفسه العقل الطبيعي ويترجم عنه بأفعاله أي أن يحيا وفق الطبيعة والعقل، وقد وهبتنا الطبيعة حب البقاء ميلاً أساسياً يهدينا إلى التمييز بين ما هو موافق لها وما هو مضاد، فنحن نطلب ما ينفعنا ونجتنب ما يضرنا بالطبع عملاً بهذا الميل الأولي [2].

وبالعقل يدرك الإنسان الحكيم أنه جزء من الطبيعة الكلية، وأن حبه للبقاء بإرادة الطبيعة الكلية أن تبقى، وهو تابع لها [3].

وتتفق كل من البرجماتية والرواقية في اعتمادها الحس أساسًا لكل معرفة أو أصل لها، فالرواقيون ماديين حسيين فكل معرفة عندهم حسية أو ترجع إلى الحس، وغاية المنطق البرجماتية هو التوفيق بين العقلي والحسي، ما يراه العقلانيون من جهة، وما يراه التجريبيون من جهة أخرى، وقد كان هذا هو أحد أهم الأسباب في تصنيف البرجماتية كاتجاه فلسفي[4].

د – المدرسة النفعية :

ظهرت الفلسفة النفعية في إنجلترا على يد (آدم سميث) (1723 – 1790) ثم تطورت على يد "جرمي بنتام" (1748 -1832)– حيث ترى النفعية أن البحث عن المنفعة هو الغاية التي يسعى الإنسان إلى تحقيقه – ولقد تأثر رواد البرجماتية بالنفعية بدءًا بمؤسسها (بيرس)، وكذلك "وليام

[1]– ويلتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر:مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة، سنة1984، ص283.

[2]– يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 306.

[3]– مُحَمَّد الخطيب، الفكر الإغريقي، مرجع سابق، ص232.

[4]– نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفية البرجماتية، مرجع سابق، ص25.

جيمس"، وبناءً عليه قامت البرجماتية تبحث عن المنفعة والفائدة العلمية من وراء الأفكار والمعارف والقيم[1].

حيث يعرف "بنتام" المنفعة بأنها خاصية الشيء التي تجعله ينتج فائدة، أو لذة، أو خيراً، أو سعادة،أو خاصية الشيء التي تجعله يحمي السعادة من الشقاء أو الألم أو الشر أو البؤس بالنسبة إلى الشخص التي تتعلق به المنفعة [2].

و- المدرسة التجريبية :

تعتبر الفلسفة البرجماتية فلسفة تجريبية قائمة على التجريب، فلذا نجد رواد البرجماتية يصرحون بانتمائهم لهذه المدرسة، يقول (جيمس): "لوك وبركلي وهيوم قد أسهموا بقسط كبير في خدمة الحقيقة بواسطة البرجماتية إن البرجماتية تمثل اتجاها مألوفاً تماماً في الفلسفة ألا وهو الاتجاه التجريبي"[3].

مع أن اتفاق الفلسفتين في الاعتماد على الحس والتجربة إلا أن هناك فروقاً، فالبرجماتية تؤكد على أهمية العقل ولا تلغي دوره المعرفي، يقول (جيمس):" إن الإنسان ميول وحاجاته وأن العقل وسيط تحقيقها في عالم التجربة بما يؤكد من مقترحات تستلزم التحقق" فهو يجعل من التفكير العقلي مرحلة من مراحل التجربة، توضع خلالها الفروض، ثم نعود بها إلى الواقع للتأكد من صحته ونفعها[4].

المبحث الثاني: أبرز مبادئ البرجماتية

إذا كان البرجماتيين يتفقون على أن المنفعة والقيمة والنجاح هي المعيار الوحيد للحقيقة، وهي بصفة عامة جوهر الحقيقة، ولكنهم يختلفون حول مبادئ البرجماتية وذلك حسب اختلاف روادها فهم وإن كانوا يتفقون في البرجماتية لنظريته وذلك من خلال تركيزه على الفكر والاعتقاد كمحور

[1]- نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفية البرجماتية، مرجع سابق، ص26.

[2]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص628.

[3]- الطالب نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص 27.

[4]- المرجع نفسه، ص 28.

أساسي لتحقيق البرجماتية أي " فكره ماهية المعطيات العملية التي ستتأثى عن الآثار التي تنسب تصورنا، إن مفهومنا لهذه الآثار هو كل مفهوم للغرض أو الموضوع".الهدف فإنهم يختلفون في المبدأ الذي تنطلق منه البرجماتية وكذا المنهج الذي تسير عليه وعليه سنذكر أبرز مبادئ البرجماتية عند كل رائد من روادها وذلك كما يلي :

1- **ش.س.بيرس:** ويعتبر هو المؤسس الأول للبرجماتية والمنظر الأسبق لها، وقد حدد مبادئ، يعتبر هذا المبدأ القاعدة المنهجية لتحليل المفاهيم، وبموجبها يقوم مضمون دلالة المفهوم فيما يمكن أن نفكر به من نتائج تتعلق بالعمل- إن تحليل المفاهيم وتصحيحها أحياناً إنما يتحقق عبر مواجهة تجريبية مع الواقع[1].

هذا ما يؤكده "بيرس" في قوله:" لنفحص موضوع إحدى أفكارنا، ولنتصور جميع النتائج التي و يمكن تصورها التي ننسبها إلى هذا الشيء ويمكن إن تكون لها أهمية عملية فإن فكرتنا عن الشيء في رأيي لا تعدو كونها مجموع الأفكار الخاصة بجميع هذه النتائج[2]

وعليه فيدور المذهب البرجماتي عند "بيرس" حول محورين أساسيين يلتقيان في النهاية عند نقطة واحدة وهما مشكلة "المعنى"، ومشكلة "الاعتقاد" أما الأولى فهي محاولة الإجابة عن هذا السؤال متى يكون للكلمة أو العبارة "معنى"؟، إما الثانية فهي تجيب عن هذا السؤال: إذ كان لدي اعتقاد معين بأن هناك في العالم الخارجي شيئاً ما ذا صفة[3].

وبهذا نجد انب يرس قد أسس للبرجماتية عن طريق الفكر والاعتقاد، وعلاقته بالعالم الخارجي وبالواقع، وكذا بمعرفة النتائج وارتباطها بالحقيقة

2- وليام جيمس:

[1]- جورج كتورة، أطلس الفلسفة، المكتبة الشرقية، لبنان،ط2، سنة2008، ص173.

[2]- مُحَمَّد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص62.

[3]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، بيروت، ط2، سنة 1982 ص123.

أما مع "وليام جيمس"، فقد اتخذت البرجماتية توجها ذاتيا خلافا "لبيرس" في تحديده لمبادئ البرجماتية، وذلك كما يلي:

فالقناعات التي هي في أساس كل معرفة أو عمل لا تخضع لأي معيار عام للحقيقة، بل هي التعبير عن مصالح الذات العلمية – وأن معيار الحقيقة هو إثبات اختبارها في الممارسة مع الأخذ بعين الاعتبار الفائدة الحاصلة، إلى أي مدى استطاع الفرد أن يعقد صفقة مقنعة مع الواقع[1].

ويقول "جيمس" بأن:" كل ما يؤدي إلى النتائج المرجوة فهو حق، وكل ما لا يؤدي إلى هذه النتائج فهو باطل ... إن كلمة الحق وكلمة النفع مترادفتان، فنقول عن فكرة: إنها حق لأنها نافعة وأنها نافعة لأنها حق، والقولان في المعنى سواء، وأيضاً هذا هو معيار الأخلاق، فالذي يجعل الفعل فضيلة هو أنه فعل "[2].

فقد ذهب "جيمس" إلى أن الحقيقة ليست إلا ما يقودنا إلى النجاح في الحياة، وقال إن المعتقدات الصحيحة هي وحدها التي تنتهي بنا إلى تحقيق أغراضنا الفعلية، وذلك لأن الحق لا يوجد أبداً منفصلاً عن الفعل أو السلوك، باعتبارها أننا نفكر لنعيش، وليس هناك حقيقة مطلقة، ولا وجود لفكرة حقيقية في ذاتها، إذ أن الفكرة أو المعتقد في دنيا الواقع، ويعبر عن الفعل بقيمته المنصرفة فوراً [3]، وفي حين رأى "بيرس" في البرجماتية طريقاً للمعايير الموضوعية اللاشخصية، أعطاها "جيمس" نكهة شخصية وذاتية[4].

3- جون ديوي:

بينما نجد "جون ديوي" قد حاول تحديد هذه المبادئ عن طريق إدخال البرجماتية في التربية والسياسة، وذلك عن طريق:"الأداتية" التي مثلها في إطار نظرية في المعرفة قد أكدت أن المعرفة ليست مجرد عملية سلبية، بل إنها تشكل عملاً في حد ذاتها، وإن المعرفة هي أداة فعل منجز، فهي تستخدم

[1]- جورج كتورة،أطلس الفلسفة، مرجع سابق، ص173.

[2]- مُحَمَّد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات،مرجع سابق، ص142.

[3]- يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1993، ص 135.

[4]- تدهوندرتش،دليل أكسفورد للفلسفة ،ج1، مرجع سابق، ص 142.

للسيطرة على مواقف ولحل مسائل عملية، ويرى "ديوي" بأنه يجب أن يكون التعلم بشأن الشكل السياسي الديمقراطي، الخلفية اللازمة لتحقيق الذات [1].

وبهذا تكون هذه المبادئ مجتمعة قد أسست لفلسفة علمية تناسب وتلائم البيئة التي نشأت فيها وتأثرت بها ولذلك جاءت مبادئ مؤسسيها كل واحد يبني أفكاره على من قبله ويطور ما يراه يناسب فلسفته ورأيته للحياة وبهم جميعًا تتكون الفلسفة البرجماتية التي تدل على أنها إنتاج فكري أمريكي يواكب الحياة العلمية الصناعية من أجل بناء مجتمع صناعي راقي والكل فيه ينتج .

ويرى "ديوي" أن كل فكرة هي عين الفعل والسلوك المحسوس، والفكرة الصائبة هي التي تنتهي بنا إلى ما ينبغي، والفكرة الخاطئة هي التي لا تؤدي الغاية المقصودة...أبداً يستحيل فصل الفكر عن التطبيق العملي[2].

ولهذا نجد "جون ديوي" يقول:" بأن النظرية أداة أو آلة للتأثير في التجربة وتبديلها، والمعرفة النظرية وسيلة للسيطرة على المواقف الشاذة، أو وسيلة لزيادة قيمة التجارب السابقة من حيث دلالاتها المباشرة "[3].

وقد اعتبر "جون ديوي" البحث عملية مصلحة لذاتها يتوجب على إجراءاتها وقواعدها السلوكية أن تقوم في ضوء الخبرة الناتجة التي تتم وفق قيم غير مرتبطة على نحو خاص بالعلم أي غير مرتبطة بالتحكم التنبؤي والتجريبي، بل مرتبطة ومتجدرة بوجه عام في الميول الروحي عند الناس عموماً[4].

وكذالك من بين مبادئ الفلسفة البرجماتية التي تستفاد من خلال استقراء مقولات روادها وكتبهم ما يلي :

1- القول بالنسبية وإنكار الحقائق المطلقة القيم الثابتة .

[1]- جورج كتورة،أطلس الفلسفة، مرجع سابق ص173.

[2]- محمد جواد مغنية، مرجع سابق، ص 141.

[3]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، مرجع سابق،ص204.

[4]- تدهوندرتش،دليل اكسفورد للفلسفة، مرجع سابق، ص142.

2- أنها فلسفة ذات نزعة فردية، حيث اهتمت بالإنسان الفرد ووضعته في الاعتبار الأول الذي يعتبر مصدراً للقيم والمعرفة، ومعياراً للحكم بالخير أو الشر[1].

3- تعتبر المنفعة المعيار الذي يحاكم إليه صدق الأفكار والقيم، بل وكل شيء.

4- تركز على المستقبل وتقاطع الماضي بكل ما فيه، فهي لا تسأل عن كيف نشأت المعرفة والأفكار بقدر ما تسأل عن النتائج التي تترتب على هذه الفكرة أو تلك في عالم الواقع [2].

5- ترى أن الحقيقة هي " التطابق مع الواقع "، فالفكر نسخة من الواقع، وأن الحقيقة مجرد علاقة جامدة وساكنة، بينما الفكر في جوهره مرتبط بالفعل، بالعمل، والعالم الذي يحقق فرضاً[3].

وبهذا تكون المبادئ البرجماتية مناسبة لكل فكر من رواد أعلامها، "فبيرس" ربطها بالأفكار والمعاني، أما "وليم جيمس" فقد حصر البرجماتية في العمل وربطها بالنتائج التي تحققها في المجتمع والواقع، في حين نجد أن "جون ديوي" قد جعل من الأداتية كمنهج لتحقيق البرجماتية وبهذا تكون الفلسفة البرجماتية قد أتمت تكونها بين أفكار هؤلاء الأعلام الثلاثة الذين كان لهم الدور الكبير في تشكيل وبناء الفلسفة الأمريكية.

المبحث الثالث: رواد الفلسفة البرجماتية

لقد تعدد الرواد الذين تضافرت جهودهم في تأسيس الفلسفة البرجماتية، ولكن أهم رموزه ورواده ثلاثة وهم :

1- تشارلس ساندرز بيرس:(1839- 1914)

أ- نشأته : هو فيلسوف أمريكي شمالي ولد في كامبردج بولاية مساشوستس، وهو ابن بنجامين بيرس الذي كان في ذلك الوقت رائداً أمريكياً في العلوم الرياضية، والكثير من نشأة تشارلس الأولى

[1]-الطالب نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية (رسالة ماجستير)، مرجع سابق، ص19.

[2]- المرجع نفسه، ص20.

[3]- عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى فلسفة، الناشر: وكالة المطبوعات، ط2، سنة 1975، ص143- 144.

كان علمياً، فقد حصل على الماجستير في الرياضيات، وفي عام 1861 كان أول من حصل على بكالوريوس العلوم في الكيمياء من جامعة هارفرد[1].

اشتغل في معمل هارفرد بعد تخرجه من الكيمياء، كان "بيرس" رجلاً صعب المراس، اعتبر من قبل الكثيرين ليبريتانيا لا أخلاقياً، يميل إلى الشعور بالخشية المفرطة من الآخرين وإلى تقلب المزاج، وكذا احتقار أقل من هم اقتدارا منه في القدرات الذهنية [2].

ولقد كان عمله الرئيسي وظيفة متواضعة في مصلحة السواحل والمساحة الأمريكية ولكنه طلب لتدريس المنطق بجامعة جونز هوبكنز في فترة من 1879 إلى 1884، كما عين محاضراً خاصاً في فلسفة العلوم لمدة سنواتٍ ثلاث بجامعة هارفرد، وكذلك قام بالتدريس في معهد لوول **lowell** ببوسطن[3].

ورغم امتياز(بيرس) في الكيمياء والفلسفة والرياضيات والمنطق، إلا أنه لم يحظ بالتدريس بشكل رسمي إلا في جامعة(جونز هوبكنز)، وقد فصل منها بعد خمسة أعوام بسبب موقفه العدائي من لدين فخافت الجامعة من أن توصم بالإلحاد خصوصاً أنها كانت في أعوامها الأولى، فاستغنت عنه وعينت مكانه أستاذ آخر[i].

ففي آخر حياته أنهكه المرض فعاش على إحسان بعض أصدقائه، ومن أبرزهم (وليام جيمس) ومع كل هذا عاش حياته معتزاً بنفسه[4] ، فأمضى الشطر الأخير من حياته في شبه اعتزال حتى مات في فقر نسبي عام 1914[5] ، قال عنه (وليم جيمس) بعد وفاته:" ذهن فذ وقوي، دفع إلى الأمام بعلوم العقل كافة، وبالفلسفة الخالصة أيضاً[6].

ب– حياته العملية :

[1]– زكي نجيب محمود، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل وآخرون، دار القلم بيروت، لبنان، ص138.

[2]– تدهوندرتش،دليل كسفورد للفلسفة، مرجع سابق، ص 185.

[3]– فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي،مرجع سابق، ص95–96.

[4] - نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق ، ص 32.

[5] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص96.

[6] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، سنة2006،ص 221.

لقد كان اهتمام "بيرس" بالفلسفة واضحاً وذلك عن طريق قراءته للفيلسوف "شيلر"، ثم سيطر عليه "كانط" فيما بعد، ولقد اتصل "بيرس" بمعظم زعماء الفكر الأمريكيين في زمنه، ومن بينهم "وليم جيمس"و"رايت"، و"هولمز"، ولكن رغم هذا فإنه لم يظفر إلا بالقليل من التقدير الأكاديمي[1].

ويقول (بيرس) عن نفسه: إنه عندما كان يدرس الفلسفية كلها، ويتتبع طرائق الفكر عند أصحابها، لم يكن ينظر إليها من وجهة نظر الفيلسوف اللاهوتي، الذي يتناول مادته، وكأنها هي معصومة من الخطأ بل كان ينظر إليها من وجهة نظر الباحث العلمي في معمله، فيبحث عن الجديد الذي لم يعرف بعد[2].

وقد نشر "بيرس" أثناء حياته عدداً من المقالات الفلسفية، ولكنه لم ينشر كتاباً في الفلسفة وفي أوائل الثلاثينيات أصدرت هارفرد ستة مجلدات من المجلدات الضخمة التي اكتمل عددها ثمانية فيما بعد والتي تضم أعماله الكاملة، ومنذ ذلك الحين بدأ الاعتراف به كواحد من أعظم فلاسفة القرن التاسع عشر[3]، اتجه (بيرس) إلى الفلسفة وتنوعت قراءاته للفلاسفة، وانتهى به المطاف إلى موقف رفض فيه الاتجاه المثالي ولاسيما المثالية الهيجلية، ثم كانت الصورة الأخيرة التي تطور إليها تفكير(بيرس) منذ عام 1870، ألا وهي "الفلسفة البرجماتية".

و بهذا فهو يعتبر أول فيلسوف أمريكي يخرج على العالم بفكر جديد يبلور فيه الحياة العقلية كما تمثلت في القارة الجديدة، فهم الذي خلق الفلسفة البرجماتية خلقاً، ثم هو الذي بلغ بها غاية كمالها فإذا ما جاء بعده التابعان الكبيران اللذان سارا على نهجه (جيمس– ديوي) لم يسعهما إلا أن يتحركا في الإطار نفسه، برغم ما جاءا به من تعديل وتحويل[4].

ج– أعماله :

[1] زكي نجيب محمود،الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق ص138.

[2] منصور عبد العزيز الحجيلي، البرجماتية عرض ونقد، مرجع سابق، ص 282.

[3] فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 96 .

[4]– زكي نجيب محمود، نافذة على فلسفة العصر، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، العدد 27، 15أفريل 1990، الكويت، ص126.

لقد كان (بيرس) مساهماً في تحرير عدد من المجلات المختصة، فقد كانت أول فلسفته محاولة هامة له، كيف نوضح أفكارنا، صدرت في شهرية العلم لذرائعية في هذه الدراسة الشعبي (بوبيلار ساينس مانثلن) في كانون الثاني 1878، فقد ترجمت إلى الفرنسية ونشرت، وفي العام التالي، في المجلة الفلسفية وأرسى "بيرس" دعائم ا التي تركت أصداء واسعة[1].

وقد نشرت أعماله في المنطق والمعرفة والميتافيزيقا بعد وفاته في ثمان مجلدات بعنوان" أوراق مجموعة " 1931- 1958، وأهم أعماله " ثبت الاعتقاد" و" المنطق الكبير" 1923، كما أشرق على مجلتي"العلم الشعبي" (1877- 1878) و"الواحد"1891[2]. وأما أعماله الأخرى التي نشرت في حياته عن طريق المجلات نجد:- دراسات في المنطق(1883)، والهند المعمارية للنظريات(1890)، وما الذرائعية،(1905)، ونشأة الذرائعية (1905)"بيرس" الذي كان اعتزل في هالفورد دعي إلى المشاركة في لجان تحرير قاموس القرن(1889-1891) وقاموس الفلسفة وعلم النفس(1901- 1905)، وقد كتب عدداً من المقالات في مواضيع شتى تتعلق بالعلم والسيكولوجية وعلم الأصوات وعلم الفهارس والخرائطية[3].

وبفضل بحثه الذي نشره عام 1878 بعنوان" كيف نجعل أفكارنا واضحة " فكان هذا البحث هو بداية لفلسفة جديدة تبزغ في سماء القارة الجديدة فأصبحت الفلسفة البرجماتية نتاج فكري أمريكي أصيل طل على العالم ليثبت وجوده وينافس غيره ويتوقف عن التقليد وبفضل بحثه الذي نشره عام 1878 بعنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة" الذي كان بداية لفلسفة جديدة تبزغ في سماء القارة الجديدة، فأصبحت الفلسفة البرجماتية كنتاج فكري أمريكي أصيل طل على العالم ليثبت وجوده وينافس غيره ويتفوق عن إتباع غيره والتقليد لهم، خاصة الفلسفة الأوربية التي كانت مسيطرة على الفكر الفلسفي.

[1]- جورج طرابشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 221.

[2]- حسن الحنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدرا الفنية للنشر والتوزيع، سنة 1991، ص 439.

[3]- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص 221.

د– فلسفته:

نشأت الفلسفة البرجماتية في" النادي الميتافيزيقي" الأمريكي فيما بين عامين 1872 و1874 وكان "بيرس" قد تقدم إلى هذا النادي ببحث نشر بعد ذلك في مقالتين منفصلتين أحدهما ظهر في عام 1877 تحت عنوان "تثبيت الاعتقاد"، والآخر بعنوان:"كيف نوضح أفكارنا" ظهر عام 1878 وقد حاول"بيرس" في هذا البحث أن يجيب عن هذه الأسئلة: متى يكون للفكر معنى؟، ومتى تكون العبارة صادقة، ومتى يجوز لنا أن نتكلم عن العبارة بوصفها معبرة عن الفكرة ومتى لا يجوز[1].

فصاغ "بيرس" قاعدته البرجماتية الشهيرة بقوله:" ندبر الآثار التي يجوز أن يكون لها نتائج فعلية على الموضوع الذي نفكر فيه، وعندئذٍ تكون فكرتنا عن هذه الآثار هي كل فكرتنا عن الموضوع" وهو يوضح قاعدته بقوله:" إن فكرتنا عن "النبيذ"لا تعني شيئاً إلا ماله آثار معينة على حواسنا مباشرة أو غير مباشرة، ويجمل"بيرس"رأيه قائلاً:"إن فكرتنا عن أي شيء هي فكرتنا عن آثاره المحسوسة"[2].

فتحليل المفاهيم وتصحيحها أحيانا، إنما يتحقق عبر مواجهة تجريبية مع الواقع، ومن الزاوية نفسها، بالإمكان شرح الاعتقادات انطلاقا من سلوك العادات التي تعبر عنها، إنه مبدأ يتحقق من تمثل النتائج العملية مفهومياً في التجربة العقلية، وبهذه الطريقة ستتشكل الحقيقة باعتبارها توافقاً بين جميع أعضاء جماعة غير متناهية من الباحثين [3]،في ذلك يقول بيرس:" وجود أشياء واقعية خصائصها مستقلة كلية عن آرائنا فيها، إن هذه الواقعيات إنما تؤثر في أدواتنا الحسية وفق قوانين منظمة، ورغم أن إحساساتنا تختلف باختلاف علاقاتنا بتلك الأشياء، فإننا باستغلال قوانين الإدراك الحسي نستطيع أن نتأكد عبر الاستدلال العقلي كيف تكون الأشياء الواقعية[4]، فمذهب "بيرس" البرجماتي

[1]– فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، المرجع السابق، ص 97.

[2]– فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق،ص 139.

[3]– جورج كتورة، أطلس الفلسفة، مرجع سابق، ص 173.

[4]– تدهوندرتش، دليل اكسفورد للفلسفة،مرجع سابق، ص186.

"هو قاعدة منطقية" لتحديد المعنى، حيث إنها تنظر لجميع الأفكار بنفس المنظار، وأنه ليست هناك أي فكرة معصومة، وينبغي إخضاع الجميع للبحث العلمي ومن خلال نتائج يتم الحكم بصحة الفكرة من عدمها، مع ملاحظة أن النتائج قد لا تتم على يد نفس الفيلسوف، وإنما قد تتم بعده بزمن[1].

إن أهم ما يميز فلسفة "بيرس" أنها فلسفة علمية تجريبية، والذي يجعلها "علمية تجريبية " لا "تأملية" هو أنها إذا ما نسبت إلى الكون حقيقة ما، اعتمدت في ذلك على تأييد الوقائع التجريبية، مع ملاحظة أن هذا التأييد قد لا يجئ على يد الفيلسوف نفسه، بل قد يجئ على يد الباحثين من بعد لذلك كان الطابع العلمي يحتم أن الفلسفة عملاً مشتركاً يتعاون على أدائه أكثر من شخص واحد[2].

كما نجد أن "بيرس" قد حدد منهجه بفكرتين رئيسيتين هما :

1- إن الفكرة الحقيقية هي التي تحدد طريقها إلى التطبيق العلمي وتقودنا إلى الهدف .

2- إن فكرتنا عن موضوع ما هي فكرتنا عن النتائج المترتبة على الآثار العلمية، فالعمل إذن هو المعيار لصدق الفكرة وليس الوعي المجرد.

لذا فإن "بيرس" يرى أن الفكرة لا بد أن تكون واضحة ثم لابد أن نعتقد بإمكان تطبيقها فعلاً[3].

ويوجز موقفه الفلسفي فيقول:" إن فلسفتي يمكن وصفها بأنها محاولة فيزيائي أن يصور بصعوده الكون تصويراً لا يتعدى ما تسمح به مناهج البحث العلمي، مستعيناً في ذلك بكل ما سبقني إليه الفلاسفة السابقون، بل طريقتي هي طريقة العلم نفسها، وهي أن أقدم صورة للكون على سبيل الافتراض الذي

[1]- منصور بن عبد العزيز الحجيلي، البرجماتيه عرض ونقد، مرجع سابق، ص284.

[2]- المرجع نفسه، ص 285.

[3]- أم كلثوم يوسف ابراهيم أحمد، برجماتيه وليام جيمس، مرجع سابق، ص 21.

ينتظر الإثبات على أساس ما قد يكتشف لنا من الحقائق، ولذلك فهو يتميز أول ما يتميز بقابلية للصواب والخطأ وفق ما تقدمه المشاهدة لنا بعدئذٍ من شواهد"[1].

وتدور فلسفة "بيرس" حول محورين أساسين هما: مشكلة المعنى، ومشكلة الاعتقاد ولذا فإن "بيرس" يرى أن الفكرة لابد أن تكون واضحة، ثم لابد أن نعتقد بإمكان تطبيقها فعلاً بإمكان تطبيقها فعلاً وقد عبر عن ذلك بقوله :" إن معنى الفكرة التي تعتقد في صحتها هو ما أنت على استعداد للقيام به من عمل إزائها "، وهذا يعني أن الفكرة الصادقة لابد أن نعتقد بإمكانية تطبيقها لأن الاعتقاد شرط للفعل [2].

وعليه فإن "بيرس" قصد من وراء نظريته في" المعنى" و" الاعتقاد" أن يخضع العبارات والأفكار عندما نريد تحديد معانيها للتجربة المادية، لأن معنى الأفكار عنده، هو ما تمثله من سلوك في الواقع والصواب أو خطا أي اعتقاد إنما تحكم به التجربة، ذلك أنه يرى أنه لا "معنى" لقوله، ولا أساس "لاعتقاد" إلا إذا كان ذلك "المعنى" و"لاعتقاد" خطة سلوكية يمكن أداؤها، وهذا هو خلاصة البرجماتية عند مؤسسها[3].

وقد أراد (بيرس) منذ بداية أن لا يكون المعتقد فردياً بل جماعياً وذلك لأن المعتقد الحق هو الذي يعتقده مجموعة من الناس أو هو الذي يتحقق في إدارة أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع، فهكذا فالمعتقد الصحيح هو الذي يمكن تعميمه على عدد كبير من الناس، أما المعتقد الذي أؤمن به أنا وحدي، فلا يستحق شرف تسميته بالمعتقد، لأن ماهية الاعتقاد قائمة في تحقيق السعادة لأكبر عدد من أفراد المجتمع[4]. فهو يقدم قاعدته حول الفكرة والاعتقاد والعمل على أنها :" أداة للتمييز بين المعرفة الصحيحة والمعرفة الزائفة، فالمعرفة الصحيحة، أي الفكرة الصحيحة عن موضوع ما تمكننا من التنبؤ

[1]- زكي نجيب محمود، نافذة على فلسفة العصر، مرجع سابق، ص 129.
[2]- أم كلثوم يوسف ابراهيم أحمد، براجماتية وليم جيمس، مرجع سابق، ص21.
[3]- نايف بن عبد الرزاق،الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص 34.
[4]- يحي الهويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص135.

بما سوف يحدث عندما نقدم على التعامل مع ذلك الموضوع، ولقد أشتغل "بيرس" فكرة تحقيق الفروض، تلك الفكرة التي تعرف أهميتها من العلم الحديث، والواقع أن كل أفكارنا في رأي "بيرس" شبيهة بالفروض العلمية [1].

وعليه يمكن اعتبار "بيرس" هو الزعيم والأب الروحي لنشأة وصياغة المنهج البرجماتي الحديث وأول مبشر بها ويظل مبدأه القائل بأن معنى الأفكار والمصطلحات وإن لم تكن لها صور حسية إنما يتجلى فيما تتركه أو ما يترتب عليها من سلوك في مجال التجربة أو الاختبار، هو القاعدة التي انطلقت منها الحركة البرجماتية بكل تنوعها ومسمياتها في الو.م.أ وبقية أنحاء العالم في انتقال وانتشار البرجماتية كفلسفة أمريكية خالصة[2].

إذا فإن كل من سيأتي من بعد "بيرس" سيبني أفكاره انطلاقا من فلسفة "بيرس" والإطار الذي تدور فيه خاصة عند "جيمس" و"ديوي" اللذان كان بعده وإن خالفاه في المبدأ ولكنهما لم يستغنيا عنه في أن يبدأ مما بدأ وأن يركز على الهدف والنتيجة التي حددها (بيرس) خاصة فكرة إرتباط العمل الناجح بالأفكار الصحيحة والناجحة .

2– وليام جيمس: (1842- 1910)

أ–نشأته:

هو فيلسوف أمريكي شمالي، ولد في 11كانون الثاني 1842 في نيويورك، هو الأخ الأكبر للروائي هنري جيمس، وابن هنري جيمس المفكر والروائي، بعد مفكر أمريكا العصري وأحظى كتابها بالتقدير والإعجاب، تحدر من أسرة من المهاجرين الإرلنديين أصابت حظاً من الثراء، وأمضى طفولته مثله مثل أخيه في تسافر متواصل عبر أوروبا مع ذويه، وتردد على كثرةٍ من المدارس في أقطار شتى[3] .

[1]– فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص 139.

[2]– أم كلثوم يوسف ابراهيم أحمد، برجماتية وليم جيمس، مرجع سابق، ص24.

[3]– جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 266.

ولما بلغ وليام الثامنة عشرة أخذ في دراسة فن التصوير على يدي "وليم هنت"، وهو رسام موضوعات دينية، لكنه ما لبث أن تخلى عن ذلك ودخل جامعة هارفرد، لكنه أنقطع عن الدراسة ليكون برفقة العالم الفرنسي في النبات والحيوان "لوي أجاسيز" في إحدى رحلاته الاستكشافية في الأمازون، ولأسباب صحية عاد وإلتحق بكلية الطب. وحصل على درجته العلمية من جامعة هارفرد التي عاد إليها عام 1872 لتدريس الفسيولوجية (علم وظائف الأعضاء)، ولكنه لم يلبث إن عين فيها محاضراً في علم النفس عام1876، ثم أستاذاً للفلسفة عام 1880، وظهرت رائعته الكبرى "مبادئ علم النفس" في مجلدين كبيرين عام1890، وهذا الكتاب الذي أعيد طبعه عشرات المرات منذ ظهوره، والذي يعد كتاباً كلاسيكياً في تاريخ علم النفس وفلسفته[1].

وبهذا استطاع خلالها أن يؤسس أول معمل لعلم النفس التجريبي في الولايات المتحدة الأمريكية مما أدى إلى بروزه كشخصية فذة غير عادية جمعت في شخصها بين عالم الفسيولوجية وعالم النفس المبرز، إضافة لكونه واسع المعارف في ميادين الفنون، وذا طبع متدين عميق التدين، مع كونه كاتباً لامعاً، مما كان له الأثر الكبير والقوي على مجمل الفلسفة الغربية في القرن العشرين[2].

لقد كان جيمس عليلاً أكثر أيام حياته، ولبضع سنوات كان يفكر في الانتحار، وقد علق على ذلك بقوله:"إن الإنسان لا يعتبر كاملاً من الناحية النفسية إلا إذا وقف على حافة الهاوية" ثم كانت لديه الجرأة أن يعود ويواجه الكون، وتعد هذه الفترة من أصعب مراحل حياته الحافلة بالمرض، ولقد كانت فترة المرض بالنسبة لجيمس فرصة للانقطاع في القراءة [3]، وفي عام 1878 تزوج جيمس "أليسه" alice، وقد كان أثر الزواج على "جيمس" إيجابياً، فقد تحسنت صحته وصار منذ ذلك الحين يحيا حياة شديدة النشاط والحيوية، يدرس في جامعة هارفرد، وتوسعت محاضراته ونشر مجموعة من الكتب

[1]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، مؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، سنة1984، ص447.

[2]- منصور بن عبد العزيز الحجيلي، البراجماتية عرض ونقد، مرجع سابق، ص286.

[3]- أم كلثوم يوسف ابراهيم احمد، براجماتية وليام جيمس، مرجع سابق، ص 29.

التي أصبحت تمثل الفلسفة الأمريكية[1]، فذاع صيته كأشهر فيلسوف أمريكي في عصره، وقد توفي إثر إصابته بنوبة قلبية في 29 آب 1910 [2].

ب– حياته العلمية:

لقد أجتاز "جيمس" الفكري ثلاث مراحل رئيسية : المرحلة المبكرة وكان مهتماً فيها بعلم النفس والمرحلة الوسطى التي تميزت بدفاعه عن البرجماتية، والمرحلة الأخيرة التي ظهرت في أبحاثه التي كتبت لخاصة المتخصصين عن ضرب من الواقعية، فيمكن أن ننظر إلى كل مرحلة منها باعتبارها نمواً منطقياً للمرحلة السابقة عليها، وجميع هذه المراحل الثلاث يمكن أن تعد نتاجاً لعقل هو مزاج متجانس ولقصد فلسفي واحد[3] ،كما" امتاز "جيمس" بروعة تحليله الذي انتهى إلى الإقبال على الفلسفة والعودة أخيراً إلى الميتافيزيقا نفسها، وهو يقول إن الميتافيزيقا ليست سوى مجرد محاولة للتفكير في الأشياء في وضوح، ويعرف الفلسفة بطريقة بسيطة بقوله:"أنها التفكير الوحيد بالأشياء في أفضل طريقة شاملة مدركة" [4]

فكانت حاجة "جيمس" الشخصية أحد أكبر الدوافع التي جعلته يخطط فلسفته العلمية، فقد كانت فلسفته وسيلة دفاع انتزعت حياته من شرك البؤس والإحباط وطلب الموت، فكانت برجماتيته التي طبقها على نفسه قلباً وقالباً في مختلف أنواع سلوكه، فوجد أن الفكرة ناجحة، فهي التي منحته حافزاً أقوى على الحياة، ومن ثم فلا مانع أن يطرحها على العالم، وفي هذا الصدد يقول"جيمس": أما وقد نفع هذه الفلسفة وعوناً لي فليس هناك ما يمنع من أن تكون عوناً لكم كذلك"[5].

فكانت الميزة الكبرى في" النزعة البرجماتية" التي أسسها" بيرس" في نظر" وليم جيمس" أنه رآها تلقي أضواء جديدة على المشكلات الفلسفية الرئيسية وتقدم لها الحلول إلى حد كبير، وكان "بيرس"

[1]– المرجع نفسه، ص31.

[2]– جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص267.

[3]– فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص175.

[4]–ويل ديورانت، قصة الفلسفة، تر:فتح الله مُحَمَّد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، سنة1988، ص616.

[5]– أم كلثوم يوسف ابراهيم احمد، براجماتيه وليام جيمس، مرجع سابق، ص30.

في "البرجماتية" مجالاً يسمح بالتسامح مع أصحاب هذه النظرة [1] ،و يعتبر "وليم جيمس" هو المؤسس الثاني للبرجماتي، وقد يكون هو المؤسس الأول، و"بيرس" هو الثاني نظراً لأن خلاف "بيرس" مع "جيمس" حول مفهوم الحقيقة هو الذي دفع "بيرس" إلى البرجماتية[2].

وقد كان "بيرس" مرتبطًا بكلية هارفارد وذلك منذ عام 1872 وهو ارتباط بقي حتى وفاته بأن شغل كرسي الفسيولوجية، وقام بإنشاء أول معمل نفسي في أمريكا عام 1876، إلى أن أصبح أستاذًا للفلسفة عام 1897، ويمكن أن نفهم بسهولة الانتقال التدريجي في التسعينات من الفسيولوجية إلى علم النفس ومن علم النفس إلى الفلسفة[3].

و قد بدأ ارتباطه بكلية هارفرد عام 1867 وهو ارتباط بقي حتى وفاته بأن شغل كرسي الفسيولوجية وقام بإنشاء أول معمل نفسي في أمريكا عام 1876، إلى أن أصبح أستاذاً للفلسفة عام 1897 ويمكن أن نفهم بسهولة الانتقال التدريجي في التسعينات من الفسيولوجية إلى علم النفس ومن علم النفس إلى الفلسفة[1]، فأنتج فكره المتنوع فكراً فلسفياً أصيلاً خالصاً جعل القارة الجديدة تتحرر من الفكر الأوروبي الذي كان مهيمناً عليها.

ج- أعماله:

عمل "جيمس" مدرساً لعلم النفس في كلية هارفرد (1872- 1876)، ثم أصبح أستاذاً مساعداً للفسيولوجية عام (1880)، ثم أستاذاً للفلسفة بهارفرد عام (1985)، قبل أن يعتزل التدريس عام (1907)، وكتب جيمس مجموعة من المؤلفات التي نالت صدى واسعاً في الفكر الأمريكي بشكل خاص، والفكر العالمي عامة، من أبرزها (مبادئ علم النفس)، ثم أشار عليه أن يكتب ملخصاً له

[1]- فؤاح كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص107.

[2]- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص440.

[3]- وليام كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، تر:محمود سيد أحمد، التنويع للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، سنة2010، ص482-483.

فكتبه وسماه (أحاديث سيكولوجية إلى المدرسين) عام 1899[1]، وله "كتاب إرادة الاعتقاد" وقد ظهر في سنة 1879، و"خلود النفس" في عام 1898، وكتاب" أحاديث إلى المعلمين في علم النفس في بعض المثل العليا للحياة" عام 1898، و" تنوع التجربة الدينية" والذي صدر عامة 1902[2]، وفي عام 1898 ألقى جيمس محاضرة في جامعة كاليفورنيا عن (التصورات العقلية والنتائج العلمية) وفي سنة 1906 دعي ليحاضر في جامعة "ستانفورد" بكاليفورنيا، وجمعت محاضراته في كتابه الشهير (اسم جديد لبعض طرائق قديمة في التفكير) وفي عام 1906 ألقى محاضرة في جامعة "بوسطن" جمعت كلها في كتابه (التجربة الأصلية) أما في سنة 1907 فقد ألقى آخر محاضرته في جامعة هارفرد بعنوان (المدخل إلى الفلسفة) [3].

كما طور أفكار "بيرس" وعرضها في كتابه (البرجماتية) سنة 1907، وكتاب (محاولات في التجريبية الجذرية) 1912 (نشر بعد وفاته)، و(عالم متعدد) 1909، و(بعض مشكلات الفلسفة) 1911(نشر بعد وفاته)، (المعادل الأخلاقي للحرب) 1897-1910، و(معنى الحقيقة) 1909[4]، وله الكثير من المقالات في العديد من المجلات.

د- فلسفته :

لقد حافظ "جيمس"، طول حياته، على علاقات وثيقة بالفلاسفة وعلماء النفس الأوربيين، وزار أوربا مراراً تكراراً، وقد اجترأ "وليم جيمس" على أن يقول لأبناء وطنه إن عليهم أن ينعتقوا من وصاية الجامعات الأوربية، وقد حثهم على التفكير بصدد الأشياء طراً مثلما جرت بهم العادة على التفكير بأخطر شؤون حياتهم الاجتماعية [5].

[1]- نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتيه، مرجع سابق، ص 36.

[2]- أم كلثوم يوسف ابراهيم احمد، برجماتيه وليام جيمس، مرجع سابق، ص31.

[3]- أم كلثوم يوسف ابراهيم احمد، برجماتيه وليام جيمس، مرجع سابق، ص32 .

[4]- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مرجع سابق ص 440.

[5]- جورج طرابيش، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص267- 268.

فتكمن الحقيقة وفق برجماتية "جيمس" الأفكار المفيدة، قد يكمن نفعها في قدرتها على عواطف وسلوكيات تحتاز على قيمة، هكذا حتى لا تكون الفكرة (بوصفها خبرة مسطحة) حول شيء إلا بقدر إنتاجها لسلوك يتناسب مع حال وجوده، وهي ليست صحيحة إلا إذا فلحت في ذلك [1]. فالحقيقة ليست مجرد نسخة للواقع في وسط تصوري أو لفظي، لو كانت كذلك لكانت قليلة الجدوى وليتوجب علينا اعتبار الرموز التصورية التي تكمن فيها وسائل للتعامل مع الواقع عوضاً عن أن تكون كشفاً عن جوهره، ونتاج هذه التأملات المحدد إنما يتعين علمياً في فلسفة عمليات، تجسد رؤية "دورية" في الزمن [2].

كما نجد "وليم جيمس" يقيم نظريته في المعرفة على التجربة الحسية، إلا أنه يعطيها مفهوماً يختلف عن مفهوم التجريبية الإنجليزية، إذ يرى أن مضمون التجربة ليس على شكل ذرات، بل هو تيار من الشعور ذلك أن التجربة ليست مؤلفة من معطيات منفصلة رصت مع بعضها كقطع الموازييك، بل هي تيار من الشعور سيال متصل لا فواصل فيه ولا روابط، تماماً مثل تيار النهر الجاري والأشياء تتداخل بعضها في بعض زماناً ومكاناً، وكل شيء يسيل ويتدفق[3].

ويعتمد مذهب"جيمس" على تصور ديناميكي (حركي) وتعددي للوجود: أي أن العالم ليس كاملاً نهائياً، ولا يحتوي على جواهر ثابتة، بل هو صيرورة دائمة، كما أنه ليس كياناً واحداً مفرداً بل هو يتكون من أفراد متعددين، ويذهب جيمس إلى حد إظهار نوع من التعاطف مع القول بتعدد الآلهة، ووراء هذا كله أنه يرفض دائماً القول بالوحدانية ويمتعض منها أشد امتعاض[4].

ولم يستطيع المذهب العقلي فيما يقول "وليم جيمس" أن يفسر تفسيراً مقبولاً هذا الشعور بالوجود مع غياب أي شيء معطى بالحواس، ويظل هذا الشعور باقياً عند ما يجربه، على الرغم من كل

[1]- تدهوندرتش، دليل أكسفور للفلسفة، مرجع سابق، ص263.
[2]- تدهوندرتش، دليل أكسفور للفلسفة، مرجع سابق ص264.
[3]- عبد الرحمن بدوي،موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص448.
[4]- إ.م.بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، مرجع سابق، ص195.

الأسباب التي تبين له أنه وهمي، وهذا مثل الاعتقاد في حقيقة موضوعات الحس، وهذا كله يدفعنا إلى التسليم بوجود حاسة أخرى في الإنسان يبصر بها الحقيقة خلاف حواسه العادية[1].

ولهذا يفسر "جيمس" تاريخ الفلسفة بأنه "تصارع بين الأمزجة البشرية إلى حد كبير"، ولا ينكر بالطبع أن الفلاسفة يسوقون بالحجج والأدلة المنطقية لإثبات وعيهم، ولكنه يعتقد أن هذه الحجج والأدلة تلعب دوراً ثانوياً، ذلك أن مزاج الفيلسوف–أو فلنقل طبعه – يكون في واقع الأمر أقوى كثيراً وأعمق جذوراً في نفس الفيلسوف وإرادته من مقدماته الموضوعية الصارمة المحكمة، وهذا الطبع هو الذي يقوم بشحن "البينة" له على نحو أو آخر [2].

وأيضاً نجد "وليم جيمس" قد عارض الاتجاهات المادية والميتافيزيقية في آن واحد، وأبرز اللامعقول وجعل العقل تياراً شعورياً محضاً،لما جعل العالم تجربة خالصة، وما المادية أو المثالية جانبان من التجربة ويتمثل اللاعقلي في الاعتقاد وفي إرادة الاعتقاد بصرف النظر عن إمكانية البرهنة عليه[3].

"فجيمس" يتجه في أفكاره دائماً إلى الأشياء، وإذا كان قد بدأ بعلم النفس فإنه لم يتجه في بحثه كميتافيزيقي يحب أن يطلق نفسه في البحث عن أمور سماوية روحية غامضة، ولكن كواقعي ينظر إلى الفكر كمرآة ضرورية للحقيقة الخارجية والطبيعية، مهما كان التفكير مختلفاً عن المادة والفكر مرآة أفضل بكثير مما يعتقد البعض، فهو يرى كل شيء بالعلاقة أو القرينة، وبذلك ينكر "جيمس" على مذهب الترابط أو التداعي، ويبين أن الظواهر الفكرية تجري في تيار متصل [4].

ولكن من أشهر ما تقدم به "وليم جيمس" من مذاهب هو "البرجماتية"، وهي التي ترى أن الفكرة تكون صحيحة حين تؤدي إلى إدراك موضوعها، وأن القضية تكون صحيحة حينما تؤدي إلى نتائج نافعة إذا ما نحن قبلناها، وحين تثبت أنها قابلة للعمل، أما كلمة "المنفعة" فإن "وليم جيمس" لا

[1]– إميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص243 .

[2]– فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 108 .

[3]– حسن الحنفي، في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، سنة 1990، ص49.

[4]– ويل ديورانت، قصة الفلسفة، تر: فتح الله مُحَمَّد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988 ص617.

يقصد بها إشباع الحاجيات المادية للفرد وحدها، بل يقصد كذلك كل ما يساهم في تألق حياة الإنسان والمجتمع [1].

ويتوسع "جيمس" في فهم ما هو مفيد أو ناجح أو نافع: أ- ففي ميدان التجربة الفيزيائية: المفيد هو ما يمكن من التنبؤ ومن العمل ومن التأثير والإنتاج.

ب- وفي ميدان التجربة النفسانية أو العقلية: هو ما هو مفيد للفكر، وما يزودنا بالشعور بالمعقولية، وهو شعور بالراحة والسلام.

ج- وفي ميدان التجربة الدينية: يكون الاعتقاد حقاً إذا نجح روحياً، أعني روحياً، أعني إذا حقق للنفس الطمأنينة والسلوى، وسما بنا إلى فوق أنفسنا[2].

وفي تفسيره لمعنى البرجماتية حدد"جيمس" مجالها بأنه يشمل منهجاً أولاً، ونظرية في "الحق" أو "الصدق"ثانياً، أما المنهج فهو إعادة صياغة للمبدأ الذي وضعه "بيرس" في بحثه :"كيف نوضح أفكارنا" ولا يكاد يضيف إليه "جيمس" شيئاً يذكر، اللهم إلا تشبيه للخبرة بأنها "القيمة الفورية " لما نصفه بأنه حق، فالعبارات الصادقة أشبه بالسلعة المطروحة في السوق، قيمتها ليست في ذاتها، بل فيما يدفع من ثمن[3].

فالحقيقة أو المعرفة في الفلسفة البرجماتية لم تعد قائمة في الأشياء وموجودة في الخارج بل أصبحت تقبل على الأشياء خلال النشاط البشري والسلوك الذي يقوم به الإنسان في الاستجابة وهذا معنى آخر لما يقصده "وليم جيمس" من وراء قوله بأن فلسفته تمثل التجريبية الأصلية [4].

[1]- إ.م.بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، مرجع سابق ص 196.
[2]-عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص448-449.
[3]- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص109.
[4]- يحي الهويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 137.

كما اعتقد "جيمس" أن الفكرة أداة للإرادة، وأن التفكير الجيد هو التفكير الذي يقودك إلى بغيتك، ولم يكن بطبيعة الحال مستخفاً أو فوضويًا، أو منطقيًا إلى الحد الذي يزعم فيه أن كل ما يبتغيه المرء فهو مطلب خير، على الأقل من وجهة نظر الطالب الفرد، والتباين عند "وليم جيمس" هو الشيء المثمر الفعال، ومن ثمة فهو عمل براجماتي[1]، والقيمة عند"جيمس" تظهر في الغايات والمطالب التي ينشدها البشر، ولا تعدو مهمة الأخلاق أن تقوم في اكتشاف البدائل التي يمكن أن تشبع المطالب المتضمنة في موقف ما، على نحوٍ يتسم بأعظم تناغم ممكن، وهكذا لا يكون الخير مطلقًا، كما أن الحقيقة ليست مطلقة[2].

كما يرى "جيمس": أن الحقيقة الموضوعية لا وجود لها ولا يمكن العثور عليها وتأمل أقدم الحقائق فستجد أنها كانت تسمى حقائق لأسباب إنسانية، أي أنها كانت تشبع رغباتها، والسبب في أننا نسمي الأشياء حقيقة هو السبب في أنها حقيقة، أي لأننا اعتبرناها كذلك بحسب تحقيقها لما نريده من أفعال، فالحق ليس إلا القلب الميت للشجرة الحية[3].

وإذا كانت نظرية "المعنى الحقيقة" هي محور البرجماتية فإن التجربة قلبها هي أساس المعرفة عند "جيمس" بحكم أنه تجريبي، ويرفض الأفكار التي لا يمكن التحقق منها تجريبيًا، ويعتبرها أفكارًا غير صحيحة، لأنه لا يمكن إثباتها والتدليل عليها، حيث يقول:"إن الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي نستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها بالمشروعية وتعزيزها وتوثيقها، وإقامة الدليل عليها والأفكار الخاطئة هي تلك التي لا نستطيع ذلك معها[4].

[1]– كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، تر:شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 82، أكتوبر 1984، ص299.

[2]– فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص112.

[3]– عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، مرجع سابق ص146.

[4]– نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص 38.

ومن هنا قال"جيمس": إن "الحق" أو" الصدق" لا يكون في الجملة قبل النزول بها إلى معترك الحياة والعمل بل هو "أطرأ" عليها عندئذ "فتصبح" حقًا أو صدقًا حين ألمس أثرها الناجح في ميدان السلوك، فالحوادث وحدها هي التي تجعلها صادقة أو باطلة[1].

هذا ولا يزال "وليم جيمس" أكثر الفلاسفة أنتجتهم أمريكا الشعبية، فقد كانت إستبصاراته بالحياة نافذة، كما أن إيمانه بالحياة البشرية وإن كان التقدم عن طريق بذل الجهد كان مشجعًا للناس فهو يحثهم على الثقة في الله والطبيعة، وفي أنفسهم، دون أن يغمض أعينهم عن العقبات التي تقف في طريقهم، إن فلسفته تفسر "الحياة الجادة للعصر الذي صيغة فيه أمريكا، وإن كانت رسالة للناس في جميع العصور[2].

كما أن طريقة "جيمس" في التفكير طريقة أمريكية فإن شهوة الامتلاك والحرية الأمريكية تبدوا واضحة تمامًا في أسلوبه وتفكيره، وقد كانت هذه الفلسفة رد فعل دفاع صغير موجه ضد الميتافيزيقا الأوروبية والعلم الأوربي [3]، ولكنها رغم ذلك فقد تأثرت بالتجريبية الإنجليزية ويتجلى ذلك من خلال قول "وليم جيمس": إن البرجماتية تمثل اتجاها مألوفًا تمامًا في الفلسفة ألا وهو الاتجاه التجريبي، ولكنها تمثل، كما يخيل إلينا، في شكل أكثر تطرفًا وأقل ممانعة فيه واعتراضا عليه في نفس الوقت، مما سبق لها أن أخذته على عاتقها حتى الآن [4].

وبهذا فيعتبر "وليم جيمس" هو المغذي والمنمي لفكر "بيرس" وإخراجه في حلة جديدة تناسب المجتمع الأمريكي المنتج، وذلك في محاولة ناجحة من أجل التحرر من الميتافيزيقا الأوربية والعلم الأوربي الذي كان مسيطرًا على الفكر الفلسفي الأمريكي لسنوات عدة .

3- جون ديوي:

[1]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص 147.

[2]- وليم كلي رايت،تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 481.

[3]- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص 623.

[4]- وليام جيمس، البراجماتية، تر: مُحَمَّد علي العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، سنة 2008، ص 60-61.

أ- نشأته:

ولد"جون ديوي" بمدينة برلنجون- وهي إحدى المدن الصناعية الصغيرة بمنطقة نيو إنجلند الأمريكية عام 1859، ونشأ في أسرة بورجوازية صغيرة، فقد كان أبوه صاحب حانوت للبقالة وفي عام 1875 التحق بجامعة (فرموت)، وتخرج منها بأعلى درجات عليها طالب في مادة الفلسفة وبعد تخرجه أنفق ثلاثة أعوام في التدريس بالمدارس الثانوية [1].

ثم التحق بالدراسات العليا بجامعة (جونز هوبكنز) حيث تعلم على يدي "تشارلز بيرس"، أستاذ المنطق في تلك الجامعة، لكن تأثيره الأساسي في الفلسفة كان بموريس الذي متأثرًا "بهيجل" وينزع منزعًا مثاليًا، ولهذا نجد "ديوي" قد مر بفترة هيجلية مثالية، كان إبانها شديد الحماسة للإصلاح الاجتماعي[2]، حيث كانت الموجة "الهيجلية" إذ ذاك قد طغت على كل ما عداها من موجات الفكر الفلسفي في القارة الأروبية بما فيها "إنجلترا" أم "القارة الأمريكية" [3].

فحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام 1884، ثم عمل مدرسًا للفلسفة بجامعة (متشيجان) في الفترة (1884-1888)، وفي الفترة (1894- 1904) انتقل "ديوي" إلى جامعة شيكاغو، التي كانت قد تأسست وقتئذٍ، وعين فيها رئيسًا لقسم الفلسفة وعلم النفس والتربية[4].

وفي هذه الفترة اكتشف المبادئ الأساسية للرؤية الفلسفية التي ناصرها ودافع عنها، والتي تعرف باسم "الذراعية" النظرة الأداتية أو "المذهب العملي"، وتشبه هذه الفلسفة في بعض الجوانب ما أعلنه "وليم جيمس" للعالم وأسماه "المذهب البرجماتي"، وبعد أن أعلن جيمس لسنوات عديدة على الملأ أن "ديوي" براجماتي أيضًا، قبل "ديوي" التسمية مع بعض التردد [5].

[1]- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص116.

[2]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص 499.

[3]- منصور بن عبد العزيز الحجيلي، البراجماتية عرض ونقد، مرجع سابق، ص289-290.

[4]- نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البراجماتية، مرجع سابق، ص 40.

[5]- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، 506.

وفي أثناء اشتغاله لمنصب أستاذ ورئيسًا لمنصب شيكاغو أنشأ ما يعرف باسم "معمل ديوي" وذلك للقيام بتجارب في علم النفس والتربية لتحقيق فروضه، ثم ترك جامعة شيكاغو إلى جامعة كولومبيا في سنة 1904، حيث بقي حتى تقاعده في سنة 1930، وبين سنة 1919 وسنة 1921 ألقى محاضرات في طوكيو وبكين وناتكين (في الصين)، وظل نشيطًا وافر الإنتاج حتى وفاته في سنة 1952.[1]

ب– حياته العملية:

عاش "ديوي" الفلاح الفتى، ثم الطالب في الولايات الشرقية في البداية وفي عام 1884 باشر بممارسة مهنة التعليم في الغرب الأوسط حيث أقام لمدة عشرين عامًا، وقد جعله كرمه، وليبراليته في الأمريكية القديمة خير ناطق بلسان تلك المناطق وخير معبر عنها، اطلع في آخر سنين دراسته على أعمال "هيجل"، فخلف هذا اللقاء كما يؤكد أثرًا دائمًا في فكره [2]،و قد أفادته هذه الممارسة للتدريس في تكوين نظرياته التربوية فيما بعد، وفي عام 1879 نشر أول بحث له في الفلسفة في إحدى المجلات العلمية، وقبل هذا البحث بالثناء مما شجعه على احتراف الفلسفة، وشرع منذ عام 1882 في دراسته العليا للفلسفة بجامعة (جونز هوبكنز) حيث اجتذبته نظريات t.h.huxley وفلسفة "هيجل" المثالية، ولم يلبث أن نال درجة الدكتوراه عن رسالته "علم النفس عند كانت" وذلك في عام 1884[3]، وفي أثناء تدريسه في جامعة شيكاغو رأي القوم يؤمنون "بالعمل" اليدوي والسعي الدؤوب الذي لا يفتر لحظة عن الإنتاج والخلق، فأثر هذا في تفكيره وجعله يؤمن بأن مقياس الصواب هو النتائج، فما كانت نتيجة نجاحًا في حل المشكلات العملية، فهو الصواب، وأن كل شيء في حياة الإنسان قابل للتغيير، ولا مفر من تغييره إذا دعت الضرورة إلى ذلك التغيير [4].

[1]– عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص499.

[2]– جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 312.

[3]– فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص 116.

[4]– منصور بن عبد العزيز الحجيلي، البرجماتية عرض ونقد، مرجع سابق، ص290.

وقد دعم زملاء "ديوي" في قسمه "مذهب الذرائع" عنده أثناء السنوات التي كان يعمل فيها في جامعة "شيكاغو"، كما تأثر أناس كثيرون"بديوي" في تفكيرهم في أقسام أخرى بالجامعة وقد طبقت أفكاره عند التعليم الابتدائي والثانوي والعالي أيضًا بحماس في "المدرسة التجريبية" وكان الشخصية الرئيسية في اجتماعات "الجمعية الفلسفية الغربية" والتي كانت تتكون من مدرسي الفلسفة في جميع أنحاء الغرب الأوسط [1].

ولقد اعترف بزعامته جميع الأساتذة والمعلمين، وتأثرت بنفوذه معظم المدارس والجامعات الأمريكية، كما أبدى نشاطًا فائقًا وجهودًا كبيرة في تجديد المدارس في أنحاء مختلفة في العالم وأمضى سنتين في الصين حاضر فيها أمام المعلمين حول إصلاح التعليم، وقدم تقريرًا إلى الحكومة التركية حول تجديد تنظيم المدارس الوطنية في تركيا[2].

فكان"جون ديوي" فيلسوف ميدان، وقد اعتنق الليبرالية بتأثير من زوجته (بالمعنى الأنجلوسكسوني ل"التقدمي") فدافع بحماس عن حرية الرأي وعن الديمقراطية وعن التقدم الاجتماعي، كان يشارك في النقاشات السياسية الكبرى في عصره ويتحمل مسؤوليات نقابية وجمعوية، ففلسفته كلها مرتبطة بالتجربة المعيشية، والحياة كلها مصممة على شكل تجارب متتالية ومن هنا نتج تصوره للفكر والتربية وللحياة السياسية [3].

كما حاول "جون ديوي" الجمع بين آراء "بيرس" "جيمس"في عرض البرجماتية باعتبارها نظرية منطقية وأخلاقية، فجعل مهمة الفلسفة توضيح أفكار العلوم الطبيعية والفن والمؤسسات الثقافية والاجتماعية، ونقد المعتقدات التي تؤثر في حياة المجتمع الإنساني، ورفض نظرية "المشاهدة" في المعرفة،

[1]- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص 506.

[2]- المرجع نفسه، ص 625-626.

[3]- جان فرانسو دورتيي، فلسفة عصرنا، تر: ابراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، سنة 2009، ص370.

فالتجربة تعطي مشاكل كلها، والإنسان جزء منها، وهو ليس كائنًا سلبيًا بل هو جزء من فعل الظاهرة [1].

ولكن في الوقت نفسه اخترع فلسفة قريبة من البرجماتية سماها "الأداتية"، تقوم على المبادئ نفسها نقد الميتافيزيقا، دور التجربة في تشكيل الأفكار، رفض كل دوغمائية وقبول التعددية في مستوى الأخلاقي والسياسي والتربوي [2].

ج– أعماله :

أول أعمال ديوي هو كتاب في "علم النفس" (1887)، برهن فيه على أن طبيعة العقل ووظيفته "الأداتية" هما المبدأ الأساسي للفكر الفلسفي، وقد بدأت صور هذه الفلسفة تتبلور وتتوضح معالم "نظرية نقدية في الأخلاق" وهو الكتاب الذي صار عنوانه بعد ثلاثة أعوام "دراسة الأخلاق"، وقد عرض مبادئه التربوية التي نبذت كليا المناهج والأهداف التقليدية للتعليم في كتاب :"قانون الإيمان التربوي" و"المدرسة والمجتمع" [3].

وفي عام 1916 أصدر "ديوي" في بحثه الأكثر إنجازًا "الديمقراطية والتربية" كانت حركة التربية قد انطلقت بصورة نهائية، وكان الفيلسوف قد كتب في عام 1903 دراسات حول "النظرية المنطقية" وكان هذا الكتاب وراء "المنطق: نظرية البحث" الصادرة عام 1938، وكذلك على الأخص وراء الكتاب المنشور عام 1920 تحت عنوان "إعادة البناء في الفلسفة"[4].

[1]– حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص441-441.

[2]– جان فرانسو دوريتي، فلسفات عصرنا، مصدر سابق، ص 369.

[3]– جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص312.

[4]– المرجع نفسه، ص312.

كما نجده قد كتب في الميتافيزيقية وفلسفة العلوم وعلم النفس وعلم الجمال والدين وأهم كتبه "دراسات في النظرية المنطقية"(1903)،"كيف نفكر"(1910)،"محاولات في المنطق التجريبي" (1916)،"العقل الخالق"(1917)،" الطبيعة الإنسانية والسلوك" (1922)، "طلب اليقين"(1929)[1].

وله أعمال أخرى نذكرها: "التجربة والطبيعة (1925)، " ليبتنز"، محاولات جديدة خاصة بالفهم الإنساني " (1888)، "الطفل والبرنامج الدراسي " و" المدرسة والمجتمع" (1900-1902) "نظرية الحياة الخلقية (1908) ،"أثر داروين على الفلسفة "(1910) [2].

"التجربة والطبيعة" (1925)، "الجمهور ومشاكله "(1926)، "مصادر علم التربية "(1929) "الفردية القديمة والجديدة "(1929)، "فلسفة التربية" (1930)، (1940)،"الفن كتجربة"(1932) "إيمان مشترك" (1934)، "الليبرالية والفعل الاجتماعي" (1935)، "التجربة والتربية" (1938) "الحرية والثقافة" (1939)، "نظرية التقييم"(1939) [3].

وكذلك أيضا كتاب "الخبرة والتربية" و"عقيدتي التربوية" و"التربية في العصر الحاصر" وقد كتب بالمشاركة مع ابنته (إفيلين ديوي) كتاب "مدارس المستقبل"[4]، بالإضافة إلى الكثير من المقالات في العديد من المجلات والصحف.

د- فلسفته :

لقد بدأ "جون ديوي" حياته الفلسفية تحت تأثير أشياع هيجل، أحيانًا يقتضي أثر رفضه المستديم للثنائية، وبحثه عن أفكار وسيطة إلى بواقي ذلك التأثير، إنه لم يرفض ثنائية العقل والجسم فحسب، بل أنكر كل تمييز وظيفي أو سياقي بين الحقيقة والقيمة، والوسيلة والغاية، والفكر والفعل، الكائن

[1]- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص425.
[2]- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص441.
[3]- المرجع نفسه ، ص 141-142.
[4]- نايف بن عبد الرزاق،الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص42.

البشري والبيئة، الإنسان والطبيعة ،الفرد والمجتمع، غير أنه تخلى كليًا عن المثالية الهيجلية في وقت مبكر من حياته [1].

فهو يرى أن الفلسفة لم تنشأ من مادة عقلية، أي عن مجرد التفكير النظري في مشاكل الوجود والكون والإنسان، بل كانت محاولة لتوقيف بين المعتقدات المنقولة والشائعة وبين التبرير العقلي لها ولو نظر إلى تاريخ الفلسفة على هذا النحو لاتخذ معنًى جديدًا، فبدلا من منازعات المتنافسين حول طبيعة الحياة الواقعية يكون لدينا منظر التصادم الإنساني من الهدف الاجتماعي والمطامح فتكون لدينا صورة حية لاختيار الإنسان المفكر عن ما يرى أن تكون عليه الحياة [2]. وهذه النظرة إلى الفلسفة مستمدة من نظريته في المعرفة، ومفادها أن الإنسان بدأ يفكر ابتغاء أن يعيش ويبقى في قيد الحياة ويحسن أحواله المعيشية، لذلك يقول:"إن التفكير يتبع الكفاح، والفعل يتبع التفكير" ذلك أن الإنسان لا يفكر إلا إذا كانت لديه مشكلة يحاول التغلب عليها، ولو لم تكن لديه مشاكل، لكانت حياته عارية عن التفكير[3].

كما قدم "جون ديوي" صورة للبرجماتية عرفت باسم مذهب الذرائع أو الذرائعية، وكان "ديوي" متأثر في معظم كتبه بفلسفة "دارونفي" التطور، فهو يرى أن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه لتحقيق التوافق مع البيئة المحيطة، إذا لم يستطع تحقيق هذا التوافق فإن مصيره حتمًا الموت [4].

لكن ما سبيل الإنسان لتحقيق هذا التوافق؟ إنها أفكاره، فأفكار الإنسان ليست إلا الوسائل أو الذرائع التي يلتمس بها طريقة إلى تحقيق هذا التوافق، والتجربة السلوكية للإنسان في الحياة تكون

[1]- تدهوندرتش، دليل اكسفورد للفلسفة، ج2، ص387.

[2]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع السابق، ص500.

[3]- المرجع نفسه ، ص500.

[4]- يحي الهويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص138.

ناجحة بقدر اهتداء الإنسان إلى أفكار تمثل محاور ارتكاز في البيئة وذرائع تعبد له الطريق إلى السيطرة عليها [1].

وإن مقياس الصواب هو النتائج، فما كانت نتيجته نجاحًا في حل المشكلات العملية فهو الصواب إن كل شيء في حياة الإنسان قابل للتغير، ولا مفر من تغييره إن دعت الضرورة إلى ذلك التغيير، فلا يجوز لشيء- كائنًا ما كان- أن يقف حائلاً في طريق الإصلاح الاجتماعي وتوفير العيش الرغد للإنسان العامل، ثم إنه لابد من تغيير قواعد الأخلاق ذاتها إن اقتضى الإصلاح هذا التغيير لجعل الحياة أكثر ملائمة لظروف العصر الجديد[2].

فمذهب "ديوي" ضرب من البراجماتزم لاعتباره المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وقد كان "ديوي" داعية قوى التأثير إلى الإيمان بفاعلية الفكر وبالروح الديمقراطية وهو في كل هذا ماضٍ مع العقلية الأمريكية المتجهة إلى العمل والحرية [3].

كما انصرف اهتمام "ديوي" إلى "التربية"، فأخرج أول كتاب له بعنوان "المدرسة والمجتمع" (1899)شرح فيه طرائقه التي كان يتبعها في مدرسته "التجريبية" الملحقة بالجامعة، ثم تلا ذلك كتاب آخر "الديمقراطية والتربية" (1916) بين فيه أن التربية هي أن ننشئ النشئ على سرعة الملائمة بين نفسه وبين بيئته لا على أن يحافظ على التقليد القديم مهما تكن آثارها على حياته العملية الجديدة[4]، وقد آمن "ديوي" بأن ينبغي أن يكون التعليم متاحًا على أساس مساواة الأطفال والكبار من جميع الأجناس البشرية، والأديان، والمنزلة الاجتماعية، ولا يعاني أحد من مركب الدونية، بل ينبغي على الجميع أن يتعاونوا داخل فصول المدرسة والجامعة، وأن يطوروا روحًا ديمقراطية، وينبغي عليهم أن

[1]- المرجع نفسه، ص 138.

[2]- يحي الهويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق ، ص221.

[3]- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص425.

[4]- منصور بن عبد العزيز الحجيلي، البراجماتية عرض ونقد، مرجع سابق، ص290-291.

يتذكروا هذه الروح في منازلهم، ومجتمعاتهم، وأن يكونوا مجتمعًا مسالما، ومسامحًا ومتعاطفًا ومتقدمًا [1]، وإن المثال الديمقراطي الذي قصده "ديوي" هو إعادة البناء، أو إعادة تنظيم التجربة فيجب أن تستمر هذه العملية باستمرار في المجتمع، ولابد أن تكون المدرسة بالمثل مجتمعًا يتم فيه إثراء تجربة التلاميذ عن طريق أنشطة مشتركة، ولابد من اختيار موضوع التعليم ومناهجه بالنظر إلى هذا المثال، ويجب أن تطلع إلى ديمقراطية وتساعد على إيجادها[2]، حيث يقول "جون ديوي" في كتابه المدرسة والمجتمع:" فكل ما أنجز المجتمع لنفسه قد وضع- برعاية المدرسة- رصيدًا لأعضائه في المستقبل، والمجتمع يأمل أن يحقق أفضل الآراء عن نفسه خلال الإمكانات الجديدة التي تتفتح في المستقبل، حيث تتحد الروح مع الصور إلا إذا كان صادقًا في تفسيره النمو التام لجميع الأفراد الذين يؤلفون ذلك المجتمع"[3]، ولذلك "فجون ديوي" يعتبر صاحب المذهب الأداتي (الأداتية)، وهو المذهب الذي مثل فكرته البرجماتية التي جاءت ردًا على النظريات التقليدية للحقيقة، التي كانت ترى أن هناك حقائق أزلية ثابتة، نهائية، كاملة وخالدة، فجاء بفكرة تقول أنه :"بدلاً من الركون إلى الحقيقة الثابتة المتعالية لابد من النزول إلى الوقائع الموجودة في عالم التغير، والتي تكتسب الخبرة [4]،فالأداتية تتخذ من الأشياء وسائل للمعرفة لا موضوعات لها، فهي كما تعترف بالمعطيات أنها موجودة وجودًا موضوعيًا، تعترف كذلك بموضوعية "المعاني" التي نرجع إليها في البحث ونستخدمها في ثقة واطمئنان، فالمعاني أدوات لاغنا عنها في التأمل، وهناك رابطة تجمع جنبًا إلى جنب بين المعطيات وبين المعاني، لأن المعطيات أو الأشياء إما أنها تدل على المعان ممكنة، وإما أنها "توحي" بمعان تقترحها [5]، ولنفهم الفكر ينبغي أن نلاحظه وهو ينشأ في مواقف خاصة وهو يبدأ من مواجهة الكائن الحي للمشاكل والمصاعب التي تصادفه فيأخذ في تكوين افتراضات يسترشد بها، وبعدئذٍ يخضع هذه الافتراضات إلى الملاحظة

[1]- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق، ص509.

[2]- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، مرجع سابق ، ص 512.

[3]- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، تر: أحمد حسن الرحيم، مكتبة الحياة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1978ص31.

[4]- نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البراجماتية، مرجع سابق، ص 44.

[5]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، ط3، سنة 1968، ص106-107.

والتجربة، والتفكير أيضا اجتماعي، وهو لا يحدث في المواقف المعينة فقط، لأن الفرد من إنتاج المجتمع تمامًا كما أن المجتمع من إنتاج الفرد [1]، كما يرى "ديوي" أن النمو والتطور أعظم الأشياء وأفضلها وأجدرها بالاحترام والتبجيل وقد جعل من النمو والتطور مقياسه الأخلاقي، فالنمو في نظره هو المقياس الأخلاقي وليس الخير المطلق، فالكمال ليس هدفًا نهائيًا، والهدف في الحياة هو عملية مستمرة نحو الكمال والنضوج والتصفية والتنقية [2]، وبهذا فإن فلسفة "ديوي" لقت استقبالا حماسيًا في أمريكا فحسب، وإنما أيضًا في الأقطار التي بدت فيها الحاجة إلى تغيير ملحة، وتناما فيها التذمر والاستياء من بنى العقل والمجتمع التقليدية، في روسيا، والصين، في تركيا، في اليابان...و قد اطلع "ديوي" على واقع هذه الأقطار بعد أن قام بعدد من الأسفار إليها وقدم فيها سلسلة من المحاضرات [3]، فمن المسلم به إجمالاً أن "جون ديوي" هو الفيلسوف القائد للفلسفة في أمريكا، فإن له نفوذًا عميقًا ليس فقط بين الفلاسفة، وإنما أيضًا بين طلاب التربية والجمال والنظرية السياسية[4]، وعليه يمكن القول أن "جون ديوي" هو أحد العمالقة الثلاثة الذين صنعوا الفلسفة البرجماتية وأشاعوها في أرجاء العالم، وقد تميز "ديوي" عمن سبقه من البرجماتيين بأنه طور البرجماتية وابتكر منهجًا جديدًا تمثل في الأداتية التي جعلها كمنهج للبحث، كما نجده أنه اهتم بإدخال منهج العلوم في التفكير وفي القيم: الأخلاقية والسياسية والاجتماعية، وغيرها، وجعل من التربية كمحور أساسي لتطور المجتمع وتقدمه نحو الأفضل باعتبار أن المدرسة هي مجتمع مصغر وأولي للطفل يهيؤه لخدمة المجتمع الكبير حسب ظروف الحياة الحاضرة مع القدرة على تغيير هذا المجتمع نحو الأفضل ليحقق الإنسان ما يريده في مجتمع صناعي ديمقراطي كالمجتمع الذي تعيش فيه الولايات المتحدة الأمريكية ولهذا ففكر "جون ديوي" واقعي ويخدم

[1]- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص628.

[2]- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق ، ص 629.

[3]- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص313.

[4]- المرجع نفسه، ص313.

الفرد والمجتمع ولذلك فهو جدير بالعناية والاهتمام والتطبيق من أجل الارتقاء بالمجتمع نحو الأفضل والوصول للسعادة والرخاء الفردي والاجتماعي.

الفصل الثاني: تأسيس جون ديوي لفلسفته العلمية

المبحث الأول: نظرية المعرفة عند جون ديوي.

المبحث الثاني: نظرية العلم عند جون ديوي.

المبحث الثالث: نظرية المنطق عند جون ديوي.

تمهيد:

إن منهج "جون ديوي" فلسفي وذلك أنه تحدث في مباحث فلسفية هامة مثل نظرية المعرفة التي يرى بأنها ليست مجرد علمية سلبية، بل إنها تشكل عملاً في حد ذاتها، كما أنها ترشد العقل والنفس وذلك أنها منهج فكري تختص بالعقل ونشاط النفس، كما أنها تعالج مشاكل الوجود والكون والإنسان في محاولة لها في التوفيق بين ما يعتقده الإنسان وبين التبرير العقلي والمنطقي لها كما نجد "ديوي" قد تناول الحقيقة التي يرى أن طريقها الوحيد هو بالبحث والملاحظة والتأمل الخاضع لأحكام الضبط والدقة، أما القيم فقد ذكر بأن الحياة الأخلاقية ما هي إلا صورة من صور البحث وأن التغيير يرفضه واجب النمو لتحسين متقصيات الحياة.

أما نظرية العلم فقد ربطها "ديوي" بالأفراد حيث يرى بأن العلم إنما يعمل من حيث هو جزء من معتقدات الشعب لا من حيث هو علم فحسب، فمهمة التفكير العملي هي إذًا أن تحل مشكلات الإنسان، فالمعرفة أداة لتنظيم الخبرة، والعلم ذاته مجرد أداة للحفاظ على بقاء الإنسان وتأمين حياته وأن العلم يتأثر بالمجتمع المحيط به ويتفاعل معه، ولهذا يرى "ديوي" أن الفلسفة ليست طريقًا خاصًا يؤدي إلى الأفكار العادية والعقائد الشائعة، وإنما هي عبارة عن نقد واستعراض فاحص لكل هذه الأمور، فالفلسفة في نظره هي مفتاح التجربة باعتبار أن الحياة متغيرة ومتطورة، ولذلك فإنسان بحاجة إليها لتحقيق الحياة الحسنة والآمنة له.

أما المنطق فقد ركز "ديوي" على نقد المنطق الأرسطي خاصة في ظروف العلم والبيئة الثقافية اليونانية التي نشأ فيها المنطق، ولذلك فهو يحاول أن يجدد هذا المنطق بما يلائم العلم الحديث وبما يتفق مع الواقع الخبري، فالمنطق في نظر "ديوي" دائم التقدم وهو يرتكز على تحليل أفضل المناهج ومساعدتها في التطور، ذلك أن التغيير والتطور حتمية يفرضها النمو الإنساني في شتى مجالات العلم والمعرفة وفي كل ما يخص حياة الإنسان من أجل تحقيق أكبر قدر من الأمان والرفاهية .

المبحث الأول : نظرية المعرفة

المعرفة:

لقد تناول الفلاسفة منذ القديم نظرية المعرفة والبحث عن الحقيقة ومهمة الفلسفة وتناول الكون والوجود ورغم الاختلاف الحاصل بينهم إلا أن لكل منهم له أسبابه في رأيه وتوجه، ومن بينهم "جون ديوي" الذي تكلم بدوره في نظرية المعرفة التي تمثلت في منهجه الأداتي الذي ارتبط بالواقع.

إن الأداتية التي مثلها "جون ديوي" في إطار نظرية المعرفة ليست مجرد عملية سلبية، بل إنها تشكل عملًا في حد ذاتها، إن المعرفة هي أداة فعل منجز، فهي تستخدم للسيطرة على مواقف ولحل مسائل علمية، يمكن إيضاح الفكر والمعرفة بالطريقة التي يعملان بها في ظروف عمل محددة[1].

فالمعرفة تتضمن الإسناد والإيماء إلى النفس أو العقل، وعملية المعرفة سبيل فكري يتضمن قوانين نفسية تختص بالعقل، وهي ضرب من النشاط تحرسه النفس، ومن ثمة فإن نوعًا معينًا من المنشط الذاتي – استلزم أيضًا قيامه في الحقائق المادية في العلم الطبيعي، وبناءًا على ذلك فإن هذا العلم هو شيء أكثر من علم واحد بجانب علوم أخرى، وإنما هو علم مركزي لأن موضوعه – وهو المعرفة – متضمن فيها جميعًا[2]، ولهذا يرى "ديوي" أن الفلسفة لم تنشأ من مادة عقلية أي من مجرد التفكير النظري في مشاكل الوجود والكون والإنسان، بل كانت محاولة للتوفيق بين المعتقدات المنقولة والشائعة وبين التبرير العقلي لها، وكان عليها أن تستخرج النواة الأخلاقية الجوهرية من المعتقدات التقليدية في الماضي، ومن ناحية أخرى لما كانت تهدف إلى التبرير العقلي للأمور التي قبلها الناس لأسباب انفعالية واجتماعية، فإن كان عليها أن تهتم بجهاز عقلي للبرهان، ومن هنا جاء إنشائها للمنطق والبرهان العقلي[3]، وبذلك ستكون مهمة الفلسفة في المستقبل هي أن توضح أفكار الإنسان من النزاعات الاجتماعية والأخلاقية في زمانهم، وهدفها أن تكون قدر الطاقة الإنسانية أداة لمعالجة هذه النزاعات،

[1] – جورج كتورة، أطلس الفلسفة، مرجع سابق، ص173.

[2] – رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية(مختارات من مؤلفاته)، العريان، ص206-207.

[3] – عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص27.

ومن كان يبدو غير واقعي حين كان يصاغ في تمييزات ميتافيزيقية سيصبح بالغ المعنى حينما يربط بمأساة الصراع بين المعتقدات والمثل الاجتماعية، والفلسفة، وقد تخلت عن احتكارها العقيم للبحث عن الحقيقة المطلقة النهائية[1]، ولم يكن "ديوي" بعيدًا عن "بيرس" و"جيمس" في النظر إلى أن الغريزة هي مصدر من مصادر المعرفة، إلا أن صورها بشكل مختلف جعله يركز على الخبرة المباشرة للفرد، وبالرغم من أنه اعتبر المعرفة أمرًا فطريًا بيولوجيًا "جعلها آلة أو وظيفة تظهر في الكائن الحي عندما تصادفه عقبة... فالمعرفة آلة أو وظيفة في خدمة المطالب[2].

ولا يفرق بين الإنسان ومصدر المعرفة واكتسابه لها، لأنه يرى:"أن العالم كله وحدة واحدة لا فرق بين ما هو طبيعي وما هو إنساني، فهو عالم متصل يشتمل على الطبيعة والإنسان ونفسه وعقله وذكائه، باعتبار أن هذه الأمور كلها أجزاء من الطبيعة نفسها، والكل في حركة متصلة وجريان دائم، وإن شئنا أن نعين مركزًا في هذا العالم المتصل المترابط فهو الخبرة، فالمعرفة في نظر "ديوي" عملية وظيفية، ولا يبدأ البحث عن المعرفة إلا عندما يواجه الإنسان مشكلة"[3].

كما نجد أن "ديوي" قد إنتقد الميتافيزيقا وأنها فكر لا طائل منه بإعتباره بعيد عن الواقع وعن ما يعيشه الإنسان في بيئته المعيشية.

ففي عام 1920 نشر "ديوي" كتابه إعادة البناء في الفلسفة الذي أدان الميتافيزيقا التقليدية بل أدان أيضًا ممارسة التأمل والنظر العقلي المجانيين، معتبرًا إياهما ترفًا لا طائل فيه، ترفًا برسم الطبقات الغنية والعاطلة عن العمل، والدليل على صواب فكرة من الأفكار وعلى قيمتها يكمن في نظر "ديوي" في الجواب عن السؤال التالي: "هل تسير سيرًا حسنًا ؟ هل هي "نافعة"[4] .

[1]- عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، مرجع سابق، ص28.

[2]- نايف بن عبد الرزاق بن حمادي، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص70.

[3]- المرجع نفسه، ص70.

[4]- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص312.

فالواقع أن الأجوبة التي يقدمها "ديوي" عن مسألة المنفعة هذه الأساسية في الأخلاق الكلاسيكية غير مرضية تمامًا، ف"النافع" في نظره هو ما يعين "النمو"، "التقدم"، "الترقي"، "التطور" ونلمس في أساس هذه المفاهيم العقلانية المبهمة ضربًا من الكره الغريزي لكل ما هو ثابت، ساكن عادم الحركة، فنحن بصدد تقليد أمريكي نموذجي يسلم قبليًا بأن الجمود شر بحد ذاته، وبأن الحركة والتغيير خير[1]، ولهذا يعتبر "ديوي" فيلسوفًا طبيعيًا لا يغفل عن النزاعات الغيبية وعدوًا لدودًا لطريقة السير من القمة فنازلا ومحقرًا للميتافيزيقا بوجه عام هي موضوع هجومه، وإن المرء ليجد في كتاباته سببين جد مختلفين لهذا الهجوم، والدين يلقى منه عقابًا صارمًا سواء لهذا السبب أو ذاك، أول السببين هو أن التفكير الميتافيزيقي لا يبدي في واقع الأمر أدنى اهتمام بما يتصل بسيطرة الإنسان سيطرة عاقلة على الطبيعة[2]، فهو ليس سوى زبد جفاء لا يسهم بشيء فيما يحرزه الإنسان من تقدم متزايد في الفهم عن طريق المنهج التجريبي للعلم، والمبرر الثاني لهجومه على الميتافيزيقا هو أن التفكير الميتافيزيقي يبدي اهتماما كبيرًا ببعض الأمور لكنه اهتمام يزيد الأمور سوءًا، فهو في رأي "ديوي" يعوق البحث ويصبغ الفلسفة بصبغة جامدة ويغلق عقول الناس دون ما في العلم الطبيعي من إمكانات كامنة[3].

ولهذا تعتبر البرجماتية في معناها العام الذي قدمه "ديوي" في "قاموس القرن"(1909) هي:"النظرية التي ترى عمليات المعرفة وموادها إنما تحدد في حدود الاعتبارات أو الفرضية، فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحدد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة أو الاعتبارات الفكرية المجردة"، وتبدوا البرجماتية بهذا المعنى نظرية في المعرفة، تقف ضد الفلسفات التأملية أو العقلية الخالصة، وتجعل من الاعتبارات العملية الأساس الأول للمعرفة[4].

[1]- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص312.

[2]- زكي نجيب محمود، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص147.

[3]- المرجع نفسه، ص205.

[4]- مُحَمَّد مهران رشوان، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص41-42.

فالمعرفة ليست شيئًا معزولاً قائمًا بذاته ومكتفيًا بذاته، ولكنها متضمنة في السبيل الذي بواسطته تتدعم الحياة وتتطور وتمضي قدمًا، فالحواس تفقد مكانها: كمداخل للمعرفة لكي تأخذ مكانها الصحيح السديد كمنشطات وحوافز للعمل، والأداء، ومن ثمة فهي مفتاح دليلي في السلوك، عامل موجه في التهيؤ والملائمة للحياة في بيئته المحيطة فهي عملية إستحثائية لجورج، لا معرفية في كيفها وصفتها[1]، "فجون ديوي" اعتبر المعرفة بدوره أداة لحل إشكال، أو خطة للتغلب على صعوبة، أو مشروعًا للتخلص من مأزق، فالمعرفة وظيفة من وظائف الكائن الحي، وهي تبدو في صورة فرض يقدم حلاً لمعضلة، وبمقدار نجاح الفرض أو إخفاقه في حل الإشكال يكون مبلغ صدقه أو مدى بطلانه، وهكذا نرى أن الأفكار وقائع التجربة[2]، ولهذا وجب أن يختبرها العقل ويتخير منها أصلحها أو أنفعها للإنسان، ومن أجل هذا كانت نظريات العلم فروضًا احتمالية أو ترجيحية وليست معرفة يقينية، وهكذا انصرف العمليون عن البحث في المبادئ الأولى والعلل البعيدة إلى النظر في ثمار الأفكار ونتائجها وآثارها في دنيا التجربة، وتركوا النظر إلى العمل والماضي إلى المستقبل [3]، "فديوي" يريد من المعرفة أن تكون أداة لحل مشكلات الإنسان وتيسير أموره للتغلب على الصعاب، ويعطي أهمية كبيرة للفرض الذي يتحدد صدقه أو كذبه على مدى نجاحه أو فشله، وأن المعرفة ليست يقينية فهي متغيرة ومتطورة ومستمرة النمو مثلها مثل الإنسان.

إن لنظرية المعرفة طرفين أحدهما ألا وهو كيف وصلت إلينا هذه المعارف والمعلومات التي نشعر أننا نملكها، وأما الطرف الآخر لنظرية المعرفة فيدور حول حقيقة هذه المعارف أو صوابها، يبحث في هل هذه المعلومات والمعارف الموجودة في أذهاننا صحيحة أم غير صحيحة، وهل يتفق ما في ذهننا مع ما هو خارج هذا الذهن، أم أن هناك خلاف بينهما، ونأخذ هذه المظاهر على أنها الحقيقة كما هي في نفسها،ثم نصدر أحكامًا عليها[4]، "و لم يكن "ديوي" بعيدًا عن "بيرس" و"جيمس" في النظر على أن

[1] – رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص207.

[2] – توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، ط1، نوفمبر1953، ص262-263.

[3] – المرجع نفسه، ص263.

[4] – يعقوب فام، البرجماتية أو مذهب الذرائع، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، سنة1936، ص75-76.

الغريزة هي مصدر من مصادر المعرفة، إلا أنه صورها بشكل مختلف، جعله يركز على الخبرة المباشرة للفرد، بالرغم من أنه اعتبر المعرفة أمرًا فطريًا بيولوجيًا، جعلها آلة أو وظيفة تظهر في الكائن الحي عندما تصادفه عقبة، فالمعرفة آلة أو وظيفة تظهر في الكائن الحي عندما تصادفه عقبة، فالمعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة، ولا يفرق بين الإنسان ومصدر المعرفة واكتسابه لها"[1].

كما نجد "ديوي" قد رفض الميتافيزيقا واعتبرها صدى لعلم اللاهوتية الدينية، وهذا يعني أن لا نفهم الحياة والعقل بالطريقة البيولوجية، كعضو أو كائن حي في بيئته تؤثر عليه ويقاومها[2].

وقد شارك "ديوي" زميله "بيرس" و"جيمس" في المبدأ العام للبرجماتية، وهو أن صحة الفكر تقاس بمقدار ما يترتب عليها من فائدة، وما الأفكار إلا مجرد "خطط العمل". ولكنما قد يميزه عنهما هو أنه ربط "الحقيقة" ب "البحث"، أن يقرر أن العلاقة بينهما هي علاقة "الحل" "للمشكلة"، فما يؤدي إلى حل للمشكلة التي تطلبت البحث فهو "حقيقي" [3].

الحقيقة:

ويرى "جون ديوي" بأن الحقيقة كلمة تستعمل للدلالة، عينًا على كل شيئًا يحدث –الأحداث بالذات– التي هي– عينًا، والبرجماتية قانعة وراضية بأن تأخذ موقعها إلى جانب العلم، لأن العلم يعتبر كل مثل تلك الأحداث مادة للوصف والبحث، تمامًا مثل النجوم والحفريات والبعوض والملاريا والدور الدموية والبصر، سواءً بسواء، كما يعتبر الزمان والذاكرة فنانان حقيقيان، ذلك أنهما يعيدان صب الحقيقة وتشكيلها وفقًا للهوى والرغبة والمنى [4]، إن الحقائق ليست سوى فئة واحدة من الحقائق، أي تلك التي دعوى التحقق فيها نتائجها جزء جوهري من معناها في حد ذاته ووراء هذه الجزيرة من المعاني التي هي في طبيعتها ذاتها صحيحة أو باطلة، يقع محيط المعاني التي لا علاقة للحق

[1]– نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص70.

[2]– ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص627-628.

[3]– محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص69.

[4]– رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص93-94.

والباطل بها، فليس ثمة سوى طريق واحد مضمون يضفي إلى الحقيقة ألا وهو طريق البحث الصبور المتعاون الذي يعمل بالملاحظة وأدوات البحث والتسجيل والرصد والتأمل الخاضع لأحكام الضبط والدقة [1]، يقول "ديوي" إن موضوع المعرفة شيء أشرف وأكمل من أي معطيات أخرى، وهو قائم بذاته، ونظرتنا إلى الأشياء كوسائل للمعرفة تتفق مع الفلسفة تؤمن بالتغير لا بالثبات، وأنه في إمكان الإنسان أن يعدل إلى البيئة التي يعيش فيها من جميع الوجوه الطبيعية والحيوية والنفسانية والأخلاقية والاجتماعية [2]، وإن علاقة الحقيقة بالمعرفة هي علاقة تلازمية وأن الحقيقة تثبت على قدر ما تحققه من فائدة، كما نجد "ديوي" قد ربط الحقيقة بالبحث فما يؤدي إلى حل المشكلة فهو حقيقي، وأن الحقيقة تبحث في المعرفة فما كان منها مرتبط بالواقع فهو حقيقي وما كان ميتافيزيقي وهمي فهو لا علاقة له بالحقيقة .

"ولهذا نجد أن المذهب الأداتي قد مثل فكرة "ديوي" البرجماتية، فيما يتعلق بالحقيقة، وفكرته الأداتية جاءت ردًا على النظريات التقليدية للحقيقة، التي كانت ترى أن هناك حقائق أزلية، ثابتة نهائية، كاملة وخالدة، فجاء بفكرة تقول أنه "بدلاً من الركون إلى الحقائق الثابتة المتعالية، لابد من النزول إلى الوقائع الموجودة في عالم التغير، والتي تكتسب الخبرة " [3]، "وبما أنه ليس هناك حقيقة قائمة بذاتها أبدًا، فينبغي أن تكون كل حقيقة هي خطوة إلى الحقيقة التي تليها، لفي طريق متسلسل طويل يؤدي في النهاية إلى حل لمشكلة معينة، وهذا الحل الأخير نفسه يستحيل إلى أن يكون حقيقة نهائية وهكذا " [4]، فالأداتية هي منهج "جون ديوي" في البحث، وهي التي تمثل تصوره للبرجماتية وخدمته لها، كما أنه جعل من الأداتية وسيلة للبحث عن الحقيقة المرتبطة بالواقع، ونقد الحقيقة التقليدية المتمثلة في الفكر اليوناني المثالي والصوري الذي لم يحل مشكلات الإنسان وإنما بقي ثابت الحقائق ومتعاليًا عن الواقع ولذلك لم يكتسب أية خبرة تمكنه من إيجاد الحل للمشاكل .

[1] – رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق ، ص91.

[2] – أحمد فؤاد الأهواني،جون ديوي، مرجع سابق، ص107.

[3] – نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص44.

[4] – المرجع نفسه، ص44.

الإنسان:

ويرى "ديوي" أن حياة الإنسان ليست في جوهرها إلا محاولة متصلة من جانبه ليتم له التوافق مع البيئة المحيطة به، والإنسان الذي يستطيع إيجاد وسائل أو ذرائع يحقق بها توافقه مع بيئته مصيره حتمًا إلى الموت، أما الأفكار فليست إلا هذه الوسائل أو الذرائع التي يتلمسها الإنسان في حياته لتحقيق هذا التوافق، ونحن لا نستطيع أن نتحدث عن وجود "تجربة" إلا إذا تحقق هذا التوافق بين الذرائع وبين البيئة المحيطة أما غدا فشل الكائن الحي في الاهتداء إلى هذه الذرائع فلا وجود للتجربة[1]، والإنسان بطبيعته يسعى إلى تغيير المحيط الذي يعيش فيه، وبالتالي البحث عن الذرائع أو وسائل جديدة لتحقيق التكيف أو التوافق مع بيئته، وعلى ذلك فإن التوافق الذي يهدف إليه الإنسان في حياته المتصلة توافق طبيعي واجتماعي معًا، وهذا يؤدي إلى الانتقال من البرجماتية الفردية إلى البرجماتية الاجتماعية التي تمثل عند "ديوي" نموذج الديمقراطية الحقة وهكذا ربط المذهب البرجماتي الحقيقة بالفعل والسلوك العملي [2]، ويؤكد "ديوي" بأن الإنسان يختلف عن الحيوانات الدنيا لأنه يحتفظ بخبرته الماضية، فما يحدث في الماضي يعاش ثانيًا في الذاكرة، ويحيط بما يحدث اليوم سحابة من الأفكار المرتبطة بأشياء وقعت في الأيام الخالية، أما بالقياس إلى الحيوانات فإن الخبرة تموت فور حدوثها وكل فعل جديد أو ألم جديد يقوم بذاته وحيدًا، في حين أن الإنسان يعيش في عالم يحمل فيه كل حدث بأصداء وذكريات الماضي، عالم يكون فيه كل حادث مذكرًا بأمور أخرى[3].

فنحن الذين نعيش الآن أجزاء من إنسانية تمتد جذورها إلى الماضي البعيد، إنسانية تفاعلت مع الطبيعة، وثمرات الحضارة التي نعتز بها إلى أقصى حد، ليست هنا ولا من صنع أيدينا، وإنما هي موجودة بفضل المنجزات والآلام والمكابدات التي عناها المجتمع الإنساني على نحو موصول والتي

[1]- يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، سنة1989، ص159.

[2]- المرجع نفسه، ص160.

[3]- رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص39.

تشكل منها حلقة[1].إن السبب في كون الطفل يستطيع أن يعرف قليلاً، في حين أن الكبير المجرب يستطيع، أن يعرف كثيرًا، عندما يواجهان نفس الأشياء- ليس مرده إلى أن الكبير له عقل، والطفل ليس له عقل ولكن لأن الكبير قد كون عادات مازال الطفل يتعين عليه أن يحصلها، إن الرجل العلمي والفيلسوف مثلهما مثل النجار والطبيب والسياسي يعرفون بعاداتهم وليس "بوعيهم"، فالمعرفة قوة، والمعرفة تنال بإرسال العقل إلى مدرسة الطبيعة ليتعلم سبلها وعملياتها في التغيير[2] ، فالظروف قد تتغير، ولكن الطبيعة البشرية تبقى كما هي على مر العصور، فالوراثة أكثر قدرة من البيئة والوراثة الإنسانية لا يغير منها الجهد الإنساني، فكما كانت الأشياء ستكون وكلما كثر التغيير فيها، استمرت على حالتها، وقد تؤدي الثورة الاجتماعية إلى تغييرات فجائية عميقة في التقاليد الخارجية وفي المؤسسات القانونية والسياسية، ولكن العادات التي تقف وراء هذه المؤسسات لا تتغير بسهولة[3].

فالتغيير الاجتماعي الحقيقي لا يكون عظيمًا أبدًا كالتغيير الظاهري، فطرق الاعتقاد والتوقع والحكم وما يتبع ذلك من استعدادات عاطفية لما نحب وما نكره، لا تتغير بسهولة بعد أن تكون قد استقرت على شكل معين، والمؤسسات السياسية والقانونية قد تتغير، بل إنها قد تمحى، ولكن الأساس الفكري العام الذي تشكل من قبل حسب نمط هذه المؤسسات يبقى ويستمر[4].

ومن وجهة النظر الإنسانية، لا تزال دراستنا للتاريخ بدائية جدًا، فنحن نستطيع أن ندرس تواريخ كثيرة متعددة، ومع ذلك نسمح للتاريخ وهو سجل التغيرات والتقلبات للنشاط الإنساني، أن يفلت منا، وعندما نتناول التاريخ على جرعات منفصلة من هذه الدولة أو تلك فإننا نتناوله على أنه تتابع نهائيات منعزلة، تستسلم كل منها في الوقت المناسب لغيرها، وهكذا تفقد حقيقة التاريخ وعبرته [5].

إن حياة الإنسان مرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها ويتفاعل معها، وهو يسعى فيها إلى تحقيق التوافق مع

[1] – رالف. ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية ، مرجع سابق، ص 40

[2] – المرجع نفسه ، ص 208

[3] - جون ديوي، الطبيعة الإنسانية والسلوك الإنساني، تر:مُحَمَّد لبيب النجيجي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، سنة1963، ص130-131.

4 المصدر نفسه، ص 131.

[5]– جون ديوي، الطبيعة الإنسانية والسلوك الإنساني، مصدر سابق، ص133.

الطبيعة عن طريق استخدام أفكاره لإيجاد ما ينفعه ودفع ما يضره، وهو مرتبط بأجزاء من إنسانية تمتد إلى الماضي وتفكر في المستقبل، فهو يملك حاضره، أما الماضي فيستفيد من خبرته، وأما المستقبل فيطمح بأن يكون أفضل أفضل عن طريق البحث الصحيح والدقيق للوصول إلى الحقيقة التي يطمح إليها لتحسين حياته المعيشية.

الكون :

يقول "ديوي" في الكون إن تمثل الكون بهيئة كمالية وتسويغه بوجه عام على الإطلاق، اعتراف بالعجز عن التحكم في مجرى الأمور التي تعنينا بصفة خاصة، ولهذا نجد النفس متجهة دائمًا تلقاء شيئًا ما يتجاوز حدوده ومن ثمة فإن وحدتها تتوقف على فكرة تكامل المشاهد والأحداث المتنقلة المتغيرة للعالم في تلك الكلية التخيلية التي نسميها الكون [1]، فنحن نعيش في عالم هو خليط باهر مؤثر ولا يعاند ولا يقاوم من الطاقات والإكتفاءات والتمام المحكم والنظام والتواتر والتكرار بحيث يجعل من الممكن التنبؤ والضبط، والتفرد والشذوذ، والالتباس والغموض والإبهام والاحتمالات غير المؤكدة والممكنات المحتملة، والعمليات والسبل الماضية إلى نتائج وخواتيم لم تتحقق أو تعين بعد [2]، ولكن مع ذلك كله، فإن الصفة المخطرة الأساسية للعالم لم تتعدل تعديلاً جوهريًا فضلاً عن كونها تمحى أو تزال من الوجود، يوجد طبعًا عالم طبيعي في حالة وجود مستقل من الكائن الحي، بيد أن هذا العالم الطبيعي لا يشكل بيئة إلا عندما يدخل بصفة مباشرة وغير مباشرة في وظائف الحياة [3]، "فالكون والطبيعة يتصفان بالمرونة والحركية في دلالة عن النمو المستمر ويستدل "جون ديوي" على ذلك بما أكده العلم حيث بين أن أبسط أجزاء الكائن الحي وهو الخلية الواحدة تتميز بالتغير، فكذلك الأمر للكون فهو محكوم بقوانين معتبرة، وبهذا يعارض الدعوات التي تدعو إلى تمثل الكون بهيئة كمالية مطلقة، بل يعتبرها اعتراف صريح بالعجز عن التحكم في شتى الأمور التي ترتبط بحياتنا

[1] – رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص180.

[2] – المرجع نفسه، ص144.

[3] – رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق ، ص144-145.

الخاصة"[1]، "وطالما أن الكون يتصف بالتغير لا يعرف الثبات، فكذلك الواقع متغير، ف"ديوي" والبرجماتيين عمومًا يرون بضرورة تهيئة الإنسان للتأقلم مع تلك التغيرات ومواجهة التحديات والحياة في هذا الكون تكون سارة كما تكون محزنة والفرد الناجح، هو الذي يكون قادرًا على التكيف مع هذه الظروف" [2]، "إن العالم في نظر "ديوي" متعدد وله معالم كثيرة ومختلفة، وهذا ما أشار إليه "وليام جيمس" حينما ذكر في إحدى محاضراته التي نشرت عام 1907 بعيوب المشكلة الفلسفية التي تدور حول "الوحدة والتعدد" وأثبت أن الوحدانية لعالم جامد لا مكان فيه للتغير وللتجديد أو للإرادة الحرة، فالكون عنده متعدد بما يناسب الحرية البشرية، كما يتفق أيضًا "ديوي" و"جيمس" في أن غاية الكون ليست نهائية ولا محددة مسبقًا وإنما تأتي نتيجة تفاعل المستمر بين الإنسان والطبيعة أو بين الوجود الروحي والعالم الواقعي المتحرك"[3]، "و يقول "ديوي": إن العالم كله وحدة واحدة لا فرق بين ما هو طبيعي، وما هو إنساني، فهو عالم متصل يشتمل على الطبيعة والإنسان وعقله وذكائه، فاعتبار أن هذه الأمور كلها أجزاء من الطبيعة نفسها، والكل في حركة متصلة ة جريان دائم، وإن شيئًا أن نعين مركزًا في هذا العالم المتصل المترابط فهو الخبرة" [4]، "وعند تحليل كلام "ديوي" السابق فإنه يلمس وبوضوح تأثره بنظرية دارون، ذلك أنه يرى الإنسان والطبيعة شيئًا واحدًا وجزءًا منها لا يمكن فصله، بل حتى العقل والذكاء هما إلا قوة يمتلكها هذا الكائن البيولوجي ليواصل صراع البقاء، وحتى أفعال الإنسان وأخلاقه ما هي إلا جزء من هذه الطبيعة التي يصفها "ديوي" بأنها تعيش وتعمل في بيئته كما تكون النباتات في التربية لا تستغني عنها" [5]، أما الكون فإن "جون ديوي" يعترف بالعجز في التحكم في مجرى أموره ولكن يمكن الاستفادة من العالم الطبيعي الذي توجد به بيئة الإنسان والذي يحتوي على وظائف الحياة الضرورية التي يحتاجها الإنسان، وأن علم الإنسان نابع بالبحث في هذا

[1]- البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي،(رسالة ماجستيرف)، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية2009-2010، ص10.

[2]- المرجع نفسه، ص10.

[3]- المرجع نفسه، ص11.

[4]- نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص57.

[5]- - نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع السابق، ص57.

العالم من أجل إيجاد ما يريده البشر في هذا العالم المتعدد بما يناسب الحرية البشرية وذلك أن التغيير ضروري والتطور مستمر وأن الواحدية لعالم جامد لا مكان فيه للتغيير والتطور، ويعتبر دائمًا بأن الإنسان والطبيعة في علاقة اتصالية وليس انفصالية، وأن الكل في حركة متصلة وجريان دائم.

لقد كان "ديوي" فيلسوفًا ينزع في فلسفته منزعًا طبيعيًا لا هوادة فيه، فكان على سوء ظن شديد بكل ما قد يشتم فيه نزوغ إلى الغيبية، فدليلنا إلى الفلسفة الصحيحة هو قبل كل شيء اعتراف الفيلسوف بأنه كائن بشري كغيره من البشر، وأن أفكاره واستدلالاته كغيرها من الأفكار والاستدلالات مصادر طبيعية وأغراضًا طبيعية، والتفلسف ليس سوى طريقة من طرق السلوك الإنساني، وينبغي أن تقدر قيمة على أساس قدرته على مواجهة الظروف التي كانت هي ذاتها مصدر نشأته [1]، فإذا ما وضعنا الأمر في صورة أخرى قلنا إن الفلسفة مرتبطة بالثقافة من حيث ابتداؤها، وانتهاؤها معًا، لأنها- من ناحية – تنشأ نتيجة لميل طبيعي هو إعمال الفكر فيما تؤدي إليه ثقافة عصرها من مشكلات، وعلى أساس اكتمالها من حيث هي حافز تقويمي لثقافة المستقبل[2]، وماذا تكون الفلسفة إن لم تكن –كما يصفها ديوي – تعبيرًا عقليًا عن الصراع الداخلي الذي يسري في ثقافة العصر؟ مهمة الفلسفة هي أن تتعقب خيوط هذا الصراع إلى أصولها لتضع أمام النظر مصادر القوى التي تتجاذب عقول الناس، فيسهل تشخيص الداء ووصف الدواء، وهكذا لم يتطلع "ديوي" إلا أن يكون بفلسفته داعيًا إلى تغيير القيم، لأن الحياة التي أحاطت به كانت تسير بالفعل نحو هذا التغيير [3]، ولهذا يعتقد "ديوي" أنه إذا أرادت الفلسفة إصلاح نفسها فعليها أن تمتنع عن معالجة المشكلات التي تصدى لها الفلاسفة القدماء، وأن تصبح منهجًا لمعالجة مشكلات البشر، ولهذا أطلق صيحته بإعادة بناء الفلسفة بأن تعود إلى التجربة، وأن تنبذ المطلقات، وأن تحبذ فكرة التحكم في الطبيعة بواسطة الذكاء الخلاق للإنسان [4]، لقد كانت فلسفة "ديوي" طبيعية بامتياز ومرتبطة بالواقع،

[1] – زكي نجيب محمود، الموسوعة الفلسفية المختصرة، مرجع سابق، ص201-202 .

[2] – المرجع نفسه، ص202.

[3] – فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، صص118.

[4] – المرجع نفسه ، ص118- 119.

وأن الفلسفة تجمع عقول البشر في صراع دائم من أعمق جذورها وأصولها إلى أبعد فروعها ولهذا يرى "ديوي" بأن الفلسفة من أجل أن تصله نفسها فعليها وتعيد بناء أصولها، فعليها أن تبتعد عن معالجة مشكلات البشر في كل زمان ومكان، وذلك بأن تعود إلى التجربة، وأن تتحكم في الطبيعة بواسطة عقل الإنسان، ويرى "ديوي" أن كتاب "أصل الأنواع" لداروين يمهد هذا الطريق لإعادة بناء الفلسفة حين يدفعنا إلى أن ننظر إلى أنفسنا بوصفنا مخلوقات ينبغي أن يتكيف بعضها مع البعض الآخر،و مع ظروف البيئة من أجل البقاء، وهذا التركيز على التكيف يتطلب في مجال الفلسفة انصرافا عن "المذهب" إلى المنهج، وعزوفًا عن النتائج المحددة إلى عملية "البحث" نفسها [1]، فإذا سلمنا بأن الفلسفة تحت ستار الاهتمام بالحقيقة النهائية المطلقة، إنما شغلت نفسها بالقيم النفسية المطمورة في التقاليد الاجتماعية، وبأنها انبثقت من تصادم غايات وأهداف اجتماعية ومن صراع بين نظم موروثة مع اتجاهات معاصرة لا تتفق معها، إذا سلمنا بذلك سيتضح لنا أن مهمة فلسفة المستقبل هي بلورة أفكار الناس وتجليها وعلى هذا إن هدفها يصبح إنسانيًا، آدات ووسيلة لمعالجة هذه الصراعات [2]، وفي ميدان الفلسفة اليوم لا يوجد كثيرون ممن يبدون ثقتهم بقدرتها على معالجة القضايا الجدية الراهنة على نحو كافٍ وافٍ، إذ المشاكل التي ينبغي أن تعالجها الفلسفة مرتبطة بالحاضر هي تلك المشاكل الناجمة عن التغيرات المستمرة بسرعة آخذة في الإزدياد على نحوٍ موصول، والتي تشمل مدى إنسانيًا جغرافيًا آخذًا في الإزدياد، والتي يزداد عمقها عمقًا ونفاذها نفاذًا بشكل لم يسبق له مثيل من قبل [3]، فالفلسفة الحديثة على إعتبار هذا الإصطلاح يفهم منه أن تلك الفلسفة التي تأثرت ببزوغ العلم الطبيعي الحديث تحتوي في باطنها إسمًا داخليًا فلقد حاولت أن تجمع من يقبل البحث العلمي فيما يتعلق بالعالم الطبيعي، ومن يقبل التعليم والمذاهب والعقائد المختلفة عن طبيعة العقل والمعرفة التي نشأت قبل أن يوجد أي شئ يسمى البحث التجريبي المنظم، وبين الإثنين يوجد تناقض

[1] - المرجع نفسه، ص119.

[2] - رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص160- 161.

[3] - رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص161- 162.

وليد ذاته، فلا سبيل إلى تلاقيهما [1]، وعليه يمكن القول أنه مازال أمام الفلسفة عمل تنجزه، ففي وسعها أن تكسب لنفسها دورًا بأن يتحول إتجاه النظر في السبب في كون الإنسان أصبح الآن غريبًا جدًا عن الإنسان وفي وسعها أن تمضي تلقاء إستنباط وتصميم فروض شاملة سخية مسماحة، بحيث إذا أستعملت كخطط وتدابير للعمل، تعطي توجيهًا فكريًا للناس الذين كانوا يلتمسون السبل لجعل العالم عالمًا أكثر قيمة في الواقع من أمره [2]، وليس في مقدور الفلسفة أن تتوق إلى آداء أفضل وأقوم سبيلاً من أن يكون بدور القابلة في هذا الصدد، وهو الدور الذي عينه لها "سقراط" منذ 1500 عام [3]، "لقد جعل "ديوي" مفتاح الفلسفة هو التجربة لأن الحياة متغيرة ومتطورة، حيث يبدأ التفكير من الشك الذي يطمح إلى التحويل إلى وضعية غير منظمة وتتصف بالفوضى إلى وضعية واضحة ومتجانسة، ولا يتحقق ذلك إلا بعمل تربوي يقوم على تحويل تلك الإفتراضات الفكرية إلى حلول وضعية مما يحدث تغير الأوضاع على الفرد والمجتمع "[4]،ولهذا فالفلسفة في نظر "ديوي" تشمل كل مجالات الحياة وأنه على الفلسفة أن تقدم الأفضل عن طريق البحث الدقيق من أجل الوصول إلى عالم جديد يحقق للإنسان كل ما يطمح إليه، وذلك عن طريق إرتباط الفلسفة بالتجربة التي تتلائم مع التغير والتطور الذي يحدث في هذا العالم .

المبحث الثاني : نظرية العلم

العلم:

إن العلم له دور كبير في حياة البشرية حيث قد قام بتسخير الكثير من الصعاب والعقبات التي اعترضت حياة الإنسان في وجوده في هذا العالم، وإن العلم هو ما يرشد الناس إلى فعل الخير والصواب واجتناب الشر والخطأ.

[1] – المرجع نفسه،، ص162.

[2] – المرجع نفسه، ص164.

[3] – المرجع نفسه، ص164.

[4] – البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي(رسالة ماجستير) مرجع سابق، ص30.

ولذلك فإن تقدير الناس للعلم واحترامهم له ليرجع إلى حد كبير إلى ما قدمه لهم من عون على الحصول على أشياء يحتاجون إليها بغض النظر عما سبق أن تعلموه هم من العلم، وقد عبر الفيلسوف الإنجليزي "برتراند راسل" بأسلوب حي قوي رصين عما مكن للعلم أن يزعزع أركان عقائد سبق أن آمن بها الناس كل الإيمان [1]، إن الصدمة التي أصابت الآراء القديمة من جراء فكره أن المعرفة عاجزة عن تعديل صفة الرغبات، ومن ثمة كانت عاجزة عن التأثير في تكوين الغايات والأغراض وعلى هذا فإننا في غير حاجة إلى الإشارة إلى نظرية "أفلاطون" التي تقول إن المعرفة هي وحدها التي تعين في آخر الأمر آراء الناس في الخير، وكذلك لسنا بحاجة إلى الإشارة إلى ما كان يحلم به "بيكون" من تنظيم المعلومات العلمية يجعله الأساس المنتظر لضروب السياسة الاجتماعية في المستقبل، وهي السياسة التي تهدف إلى إسعاد البشر [2]، ومهما يكن من أمر فتأثير العلم في كل من الوسائل والغايات لا يكون مباشرًا في اندماجه بالثقافة، وبوصف أن هذه هي وظيفته وأن هذا عمله، حلت معتقدات علمية جديدة محل أخرى غير علمية غير قديمة، وعلى أسوأ حال نستطيع أن نقول إن العلم إنما يعمل من حيث هو جزء من المعتقدات الشعب الشائعة فيه لا من حيث هو علم فحسب[3]، كنا إلى الآن ننظر إلى العلم من حيث هو طائفة، أو مجموعة، من النتائج المستنبطة، وتجاهلناه من حيث هو موفق في إرادة دابت على استخدام طرق معينة من الملاحظة والتفكير والتجريب والتحقيق وتفضيلها على غيرها من الطرق الأخرى، ولعل أهم تلك المميزات والسمات كلها هو ذلك الاستمتاع بالعمل في ميادين جديدة من ميادين البحث العلمي، وهي معالجة مشكلات جديدة [4]، إن المنهج الذي بنى عليه "ديوي" تفكيره هو أن العقل في سلوك الإنسان ذو طابع معين، وليس هو الكائن الروحي الكامن في الجسم كما يقول المثاليون، إن كل فكرة معينة الفعل والسلوك المحسوس،

[1]- جون ديوي، الحرية والثقافة، تر: أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، مصر، ص165.

[2]- المصدر نفسه، ص168.

[3]- جون ديوي، الحرية والثقافة ،مصدر سابق، ص176.

[4]- جون ديوي، الحرية والثقافة ،مصدر سابق ، ص177- 178.

والفكرة الصائبة هي التي تنتهي بنا إلى ما ينبغي والفكرة الخاطئة هي التي لا تؤدي الغاية المقصودة... أبدًا يستحيل فصل الفكرة عن التطبيق العملي [1].

"فديوي" قد أعطى أهمية كبيرة للعلم وجعل له منهجًا يتلائم مع المجتمع البشري من أجل تحقيق أكبر قدر من الأهداف التي تتبع للإنسان تحقيق الراحة والسعادة في مجتمع صناعي ديمقراطي مثل المجتمع الذي تعيش فيه أمريكا اليوم .

وكان الشغل الشاغل "لجون ديوي" هو تغيير القيم في المجتمعات الإنسانية ويتذرع "ديوي" بالمنهج العلمي لإحداث هذا التغيير في القيم الأخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها، ولهذا سمى "ديوي" مذهبه بالمذهب "الأداتي" لأنه يتخذ من "الفكر" "أداة" للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه من تغيير في مجتمع صناعي ديمقراطي كالمجتمع الذي نعيش فيه اليوم، أو على الأصح كالمجتمع الذي تعيش فيه الولايات المتحدة في عصرنا الراهن [2]، وكان "ديوي" يؤمن بكل شيء في حياة الإنسان قابل للتغير إن دعت الضرورة إلى تغييره، ولا يجوز أن يقف شيء –كائنًا ما كانت قيمته وقداسته – حائلاً في مجرى الإصلاح الاجتماعي وتوفير العيش الرغيد للإنسان العامل، فلا بد من تغيير قواعد الأخلاق غن اقتضى الإصلاح هذا التغيير، ولا بد من تغيير أسس السياسة والاقتصاد والتربية وكل شيء مما قد يظن به الدوام والثبات، في سبيل تغيير الحياة تغييرًا يجعلها أكثر ملائمة لظروف العصر الجديد [3]، ويلخص "ديوي" الخطوات التي يتبعها المرء في بحثه إلى خمس خطوات هي:

1- تحديد المشكلة التي أحدثت هذا الموقف، وهنا لا بد من بصيرة نافذة لأن هذه الخطوة تترتب عليها الخطوات التالية جميعًا.

2- استعراض الحلول الممكنة لحل هذه المشكلة، ويمكن تسميتها بمرحلة الفروض والبدائل.

[1] – مُحَمَّد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، مرجع سابق، ص141.

[2] – فؤاد كامل،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص118.

[3] – فؤاد كامل،أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص118.

3- النظر في النتائج المترتبة على الحلول المفترضة .

4- الربط بين هذه النتائج بمزيد من الملاحظة والتجريب .

5- و تكون المرحلة الأخيرة باتخاذ الحل الذي يوجد بين عناصر الموقف [1] .

فمهمة التفكير إذًا هي أن يحل المشكلات التي أثارته، وحين ما يمر المرء بتلك المراحل الخمس التي ذكرناها يكون السؤال هو :هل النتيجة النهائية التي خرجت بها كان "ينبغي" أو "لا ينبغي" أن تصل إليها؟ المشكلة إذًا هي مشكلة الحكم على نشاط في سياق وهي مشكلة معيارية تتعلق بالقيمة، وعلينا أن نميزها عن أية مسألة غيبية بصدد "الحقيقة" النهائية والمطلقة[2]، وقد بين "جون ديوي" بان التفكير أداة للمعرفة والمعرفة أداة لتنظيم الخبرة، والعلم ذاته مجرد أداة كي يؤمن وجود الإنسان ويكفل له الانتصار في معركة الانتصار من أجل البقاء، والمعيار هو الصلاحية لأداة هذه الوظيفة وليس الصدق أو الكذب، ويستخدم مصطلح "الأداتية" أيضًا للدلالة على فلسفة "ديوي"، لا مغالاة إذًا في القول: إن الأداتية هي تطبيق إبستمولوجي للبرجماتية في فلسفة العلم [3].

ويرى "ديوي" أيضًا بأن العلم لا يتقدم ولا ينفسح المجال أصلاً لجهود الإبستيمولوجيا، ما لم ينشأ في بيئة ثقافية متساندة تملك بواعث هذا التقدم، "لأن العلم لا يعمل وحده في فراغ، بل هو يفلح أرضًا مهدتها الثقافة السائدة من قبل أو تركتها صعيدًا زلقًا، فتفاعل العلم مع المجتمع حقيقة لا سبيل إلى إنكارها، ولا جدوى من إنكارها " [4] .

"فديوي" ربط العلم بالخبرة وأنه مجرد أداة تؤمن وجود الإنسان وصراعه من أجل البقاء، كما أن العلم يتأثر بالبيئة التي يوجد فيها ثقافة ذلك المجتمع فهو يتقدم ويتأخر على حسب ذلك .

وليس ثمة تعارض فطري ملازم بين النظرية والعملية، فالأولى تكبر وتبسط وتعطي مغزى وفحوى الثانية، في حين أن التطبيق العملي يمد نظرية بلوازمها وموادها بالاختبار والمراجعة

[1]- المرجع نفسه، ص119.

[2]- المرجع نفسه، ص119.

[3]- يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، سنة2014، ص299.

[4]- يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص427.

والضبط التي تحفظ النظرية السليمة، النظريات كما هي مستعملة في البحث العلمي– هي نفسها مسائل تجرد منظم مثل الأفكار، فإنها تفلت وتنصرف بعيدًا عن ما يمكن تسميته الحقائق المعطاة مباشرة لكي تكون قابلة للتطبيق على مدى أوسع من الحقائق المتعلقة بها [1].

فهناك علاقة وثيقة بين النظريات العلمية وبين العلم بحيث يؤدي تطور النظريات إلى تطور العلم، وأن النظريات تتطور باستعمالها للبحث العلمي المنظم من أجل اكتشاف الحقائق وبذلك تطور العلم الذي بدوره يحقق للفرد والمجتمع كل ما يستلزم لبناء مجتمع راقي صناعي وديمقراطي تلعب فيه التربية الدور الأساسي لنهضة هذه المجتمعات ونموها واستمرارها في مستوى حسن وراقي تحقق به السعادة .

المنهج :

إن كل مذهب فلسفي منهجه الذي يسير عليه، فيلسوفنا "جون ديوي" قد ابتكر لنفسه منهجًا يتميز به عن غيره، كما أنه يخدم اتجاه الفلسفي البرجماتي، وكذا التأكيد على البحث العلمي خاصة في مجال التربية وكذا كل العلوم الطبيعية والإنسانية والاستفادة من الخبرة التي تعطيها التجربة .

فلو أردنا عبارة واحدة قصيرة تلخص من صميم فلسفة "ديوي" فهي العبارة التالية:"إن التطبيق العام لمناهج العلم في كل ميدان ممكن من ميادين البحث، هو الوسيلة الواحدة القادرة على حل مشكلات الديمقراطية الصناعية"، هذه هي النتيجة التي انتهى إليها "ديوي" بكل فلسفته على تنوع ميادينها، وهي أن نصطنع المنهج العلمي في كل موضوع نفكر فيه، لا فرق بين اقتصاد أو تربية أو دين، أو أخلاق أو سياسة [2]، ففلسفته إذن هي في حقيقتها "منهج"، لا يعنيه أن يقدم للناس حقائق بعينها بقدر ما يعنيه أن يقدم لهم منهجًا يطبقونه في كل موضوع، وهو إذًا ما بحث موضوعًا معينًا، فإنما يبحثه أولاً وقبل كل شيء على أنه "مثل" يطبق عليه منهجه في البحث [3] .

إن منهج "ديوي" قد يعني ثورة في الفكر عند الطبقة الوسطى، أشبه في ضخامتها بالثورة في الصناعة في القرن الماضي، وقد بدا ل"راسل" أنه كان يقول الشيء نفسه حيث كتب :" إن لديوي

[1]- رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص216- 217.

[2]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص165.

[3]- المرجع نفسه، ص165- 166.

نظرة حيثما تتميز، تتناغم مع عصر الصناعة والعمل الجماعي، وطبيعي أن فيه أعظم إغراء للأمريكيين، وكذلك أيضًا العناصر التقدمية في أقطار كالصين والمكسيك [1] .

فالبرجماتية شهدت تطورًا واسعًا خصوصًا على يد "ديوي" الذي بدأ من الفلسفة الهيجلية ولكي يداوي ما رآه فيها من انفصال بين الفكر والواقع انساق تمامًا للبرجماتية ورأى أن المعرفة وظيفتها تنظيم السلوك وأن الفكرة أداة للعمل، فتنعت برجماتية "ديوي" بأنها وظيفته أو أداتيته وقد جعلها أساسًا فلسفيًا للتربية وللدفاع عن الحرية والليبرالية الحديثة ونظريته السياسية إجمالاً[2].

وخلاصة الفلسفة البرجماتية أن العقل يحقق هدفه حين يقود صاحبه إلى العمل الناجح، إذن الفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة، ولا تقاس الفكرة إلا بنتائجها العملية أي بفائدتها، هكذا تنتفي تمامًا الحقائق الثابتة والأفكار المطلقة التي تبحث عنها المثالية، الحق والخير والجمال هو العملي النافع المفيد، تنشأ القيم من الواقع الطبيعي وتكون متغيرة متطورة تبعًا لنواتج الخبرة التجريبية التي تشهد بقدرة المبدأ الخلقي أو القيمة على حل المشكلات [3] .

إن فلسفة "ديوي" تتضمن ثلاث مفاهيم رئيسية ترتبط بتطورات معينة حدثت من قبل، أولها هو العنصر البرجماتي، "فديوي" يشارك "بيرس" رأيه القائل إن عملية البحث أساسية، ويأتي بعد ذلك التأكيد على الفعل، وثالثا ففي نظرية "ديوي" قدر واضح من الفكر الهيجلي، ويظهر ذلك بوجه خاص في تأكيده أن الهدف النهائي للبحث هو الوصول إلى الكل العضوي أو الموحد [4] .

وهكذا ينظر إلى الخطوات المنطقية التي تحدث خلال سعينا إلى تحقيق هذا الهدف على أنها أدوات توصل إلى هذا الكل، هذه النظرية "الأداتية" إلى المنطق تشترك في عناصر كثيرة مع الجدل

[1] – سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد189، تاريخ يونيو 1995، ص43.

[2] – يمنى طريف الخويلي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص239.

[3] – المرجع نفسه، ص239.

[4] – بتراند راسل، حكمة الغرب،ج2، تر:فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة العدد72، بتاريخ ديسمبر 1983، ص209.

الهيجلي، وقد رفض "ديوي" كبقية أتباع المدرسة البرجماتية، أن يتقيد بالتصورات التقليدية للصواب والخطأ كما توارثناها من الفلسفة الرياضية عند "فيثاغورس" و"أفلاطون" [1] .

فهو يرى الطريقة التجريبية بأنها تعني أنه لاحق لنا في أن نسمي أي شيء معرفة فيما عدا حيثما يفضي منشطنا فعلاً إلى إحداث تغييرات مادية معينة في الأشياء تتفق مع المفهوم الذي يخامرنا أو نسلم ونؤيده، فإذا أعوزتنا مثل هذه التغييرات المعينة فإن معتقداتنا لا تزيد على أن تكون فروضًا فحسب، ويتعين علينا أن نضمرها مؤقتًا ونفيد منها كدلالات أو مؤشرات في تجاربنا توضع على محك الاختبار [2]، ولتقرير حقيقة ما في أوج قوتها واكتمالها، فإن الأفكار السابقة على الاختبار التجريبي الإيحائي ليست لها أهميتها الفكرية إلا كموجات ومؤشرات ومشروعات وخطط لأعمال ممكنة فقط، والأعمال عندما تنجز وتنتج آثارًا ونتائج تختبر وتوسع وتعدل الأفكار التي كانت مضمرة ومسلمًا بها من قبل بصفة مؤقتة، وعلى هذا فإن الطريقة التجريبية تتعارض مع طول الخط مع كل الطرائق التي تدعي أن الباطل لا يأتيها، وأنها محصنة ضد الحريق [3] .

و يقول "ديوي":" نحن نستعمل الطريقة العلمية في توجيه الطاقات المادية والطبيعية ولكن ليس الطاقات الإنسانية، فالطريقة العلمية...ليست سوى الاستعمال المنظم الشامل والمضبوط بدقة والإفادة من الملاحظة المتنبهة الواعية غير المتحيزة والتجريب في جمع وترتيب وتبويب واختبار البيئة[4].

الأداتية:

وقد نشأت بذور الأداتية عند "جيمس"، لأنه كان يعد التصورات والنظريات مجرد أدوات يمكن أن تصلح في تكوين حقائق مستقبلة بطريقة خاصة، غير أنه قصر نفسه قبل كل شيء على المظاهر الأخلاقية لهذه النظرية، وما ترتب عليها من آثار تختص بقيمة الحياة العاطفية ومنزلة النظم الفلسفية وبخاصة الطعن على العقلية الواحدية والمذهب المطلق في جميع صوره، ولم يحاول قط أن يقيم نظرية

[1] – المصدر نفسه، ص209.

[2] – رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص210.

[3] – المرجع نفسه، ص211.

[4] – رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق ، ص141.

كاملة عن صور العمليات المنطقية [1]، ومن هنا تبدأ الأداتية عند "ديوي"، إنها محاولة لوضع نظرية منطقية دقيقة عن التصورات والأحكام والاستدلالات في شتى صورها، بالنظر قبل كل شيء إلى التفكير كيف يعمل في تحديد النتائج المستقبلة تحديدًا تجريبيًا، وبعبارة أخرى تحاول الأداتية أن تضع قواعد منطقية يعترف بها عامة عن طريق استخلاصها من وظيفة العمل المتوسطة والمبدعة والتي تنسب إليه، والغرض من الأداتية تكوين نظرية عن الصور العامة للتصور والاستدلال[2]، فالأداتية تجعل للتفكير وظيفة وضعية،و هي إعادة تكوين الحالة الراهنة للأشياء لا مجرد معرفتها أو اتخاذ نسخة منها، فالتفكير واسطة لاستجابات معقدة مع مؤثرات البيئة، وإذا طبقنا هذا على الأحكام المنطقية، كان الموضوع هو جزء البيئة الذي يتطلب الاستجابة، والرابطة تمثل الفعل العضوي والمحسوس الذي يتم به الربط بين الواقعة ودلالتها، وأخيرًا نجد النتيجة أو الموضوع الحكم، وهو تعديل الموقف إن في الموضوع أو المحمول أي البيئة [3].

وعليه تذهب الأداتية إلى أن العمل يجب أن يكون بصيرًا وصادرًا عن تدبر، وأن الفكر يجب أن يشغل منزلة رئيسية في الحياة، وهذا هو السر في إلحاح الأمريكان على غائية الفكر والمعرفة وهي غائية يجب أن تتحقق في الأمور الخاصة لا على وجه مجرد، وأن يكون العقل البصير هو المصدر دون غيره والضمان الوحيد لمستقبل سعيد، فالمستقبل كالماضي يمكن أن يكون منبع الاهتمام ومصدر العزاء، والمستقبل هو الذي يعطي للحاضر معناه [4]، فلقد كان عيب الفلسفات القديمة في نظر "ديوي" أنها فصلت التفكير عن تيار الخبرة الإنسانية، ونظرت إليه على أنه عملية ثابتة فانتزعت التفكير من مجرى الحياة وانتزعت معه صفة جوهرية لكل كائن حي هي أنه يعيش في زمان وسميت أوجه التفكير بأسماء كثيرة مثل التصور، والحكم، والاستدلال والتأمل، ولكن هذه الأوجه إنما تدل على "بحث" أو على نتيجة بحث، وأن البحث يشغل منزلة متوسطة في الخبرة[5].

[1]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص90.

[2]- المرجع نفسه، ص91.

[3]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص92-93.

[4]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص93-94.

[5]- المرجع نفسه، ص101.

فالأداتية تتخذ من الأشياء وسائل للمعرفة لا موضوعات لها، وهذا التفكير الأداتي يتميز بصفتين أساسيتين:

1- أنه يعرف التفكير بالوظيفة، وبالعمل الذي يؤدى، ونتائج التي تترتب عليه .

2- أن التعديل أو التنظيم الجديد الذي يتم بهذا التفكير إنما هو شيء طبيعي، لأن التفكير ينتهي في الخبرة التي هي تعديل واقعي لموقف طبيعي سابق [1] .

وفي كتاب المنطق الذي صدر سنة 1938 عدل "ديوي" مذهبه في الأداتية إلى القول بالعمليات العقلية، فالأداتية تدل على العلاقة بين الوسائل والنتائج باعتبار أن هذه العلاقة هي المقولة الأساسية لتفسير الصور المنطقية أما العملياتية فإنها تدل على الشروط التي يكون فيها الموضوع "أولاً" صالحًا لاستخدامه كوسيلة، و"ثانيًا" عاملاً بالفعل كوسيلة في الوصول إلى التعديل الخارجي الذي هو الغاية في البحث [2]، وبالرغم من تفضيل النظرية الأداتية كوسيلة للحصول على بحث محايد نزيه إلا أنه تعول كثيرًا على الاستدلال على خلاف ما يقول نقادها، فتحاول النظرية الأداتية فقط التوضيح بنوع من التفصيل أين توجد القيمة، وتضع عنها البحث في الموضع الخطأ، تقول إن المعرفة تبدأ بملاحظات محددة تحدد المشكلة، وتنتهي بملاحظات محددة تختبر بها "الغرض" الذي وضع لحلها[3] .

حقيقة يوجد فرق جوهري بين الأداة المادية والأداة الفكرية إن جاز التعبير، ويبين هذا الفرق من وجهة النظر العملية أن الأداة الفكرية تتميز من حيث الصفة الوظيفية، إذ لا تتشكل وفق فكرة معينة في "العقل" وتتصف بالمرونة والتكيف وفق استخدامات عديدة غير مرئية لعمومتها، يمكن توظيفها مع مشكلات غير متوقعة الحدوث ويكون الفعل مهيئًا مسبقًا لكل مفاجئات الفكرية وحين تضم المشكلات الجديدة لا ينتظر حتى يتم صنع الأداة المناسبة لها [4] .

[1]- جون ديوي، الحرية والثقافة، مصدر سابق، ص105- 106.

[2]- جون ديوي، الحرية والثقافة، مصدر سابق ، ص108.

[3]- جون ديوي، إعادة بناء الفلسفة، تر: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1،سنة 2010،ص135.

[4]- المرجع نفسه ، ص 136.

ومن هنا يمكن القول أن الأداتية عند "ديوي" "إنها محاولة لوضع نظرية منطقية دقيقة عن التصورات والأحكام والاستدلالات في شتى صورها، بالنظر قبل كل شيء إلى التفكير، وكيف يعمل في تحديد النتائج المستقبلية تحديدًا تجريبيًا، وبعبارة أخرى تحاول الأداتية أن تضع قواعد منطقية يعترب بها عن طريق استخلاصها من وظيفة العمل المتوسطة والمبدعة والتي تنسب إليه، والغرض من الأداتية تكوين نظرية عن الصور العامة للتصور والاستدلال، لا عن هذا الحكم أو ذاك، أو هذا التصور أو ذاك في علاقته بمضمونه" [1] .

فالأداتية هي منهج الحياة التي يمكن للإنسان عن طريق التفكير الأداتي أن يضمن الوظيفة والعمل، وكذا إيجاد الحلول لكل المشاكل التي تقف في طريقه نحو المستقبل نحو المستقبل وأن الغرض من المنهج العلمي ل "ديوي" أو الأداتية هي وضع قواعد منطقية تمكن من البحث الصحيح والوصول إلى الحقيقة وكذا إيجاد الحلول .

القيم :

لقد حاول "جون ديوي" إدخال منهج العلوم في القيم وأن الخبرة هي التي تحدد قيمة الأخلاق ومعرفة الخير من الشر، وكذا لدراسة العلوم المرتبطة بذلك كالسياسة والفنون الجمالية وغيرها وذلك من أجل تغييرها تغييرًا يناسب ظروف الحياة الحاضرة، وكذا اتخاذ من الفكر القيمي كذريعة للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يريده في مجتمع صناعي ديمقراطي .

ويصف "ديوي" فلسفته بأنها "نزعة طبيعية إذ يعتقد أن "القيم" أمر يمكن أن يكتشف أثناء التجربة، وأن تقوم التجربة، وأن تقوم التجربة بالتصديق عليه، وهذا يطلق عليه في مجال الأخلاق

[1] – أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص91.

بالنظرية الطبيعية، وتذهب هذه النظرية إلى أن مشكلة الخير أو الشر يمكن أن (تحل) بتقديم البينة وأن ما هو "أفضل" يمكن أن يظهر في عملية البحث [1] .

وموضوع الأخلاق هو سلوك الناس، وغرضها أن تضع على نحو عام الفارق بين السلوك الحميد والسلوك السيء، وحينئذٍ يمكن أن نصل إلى التعريف التالي للخير كما يقترحه "ديوي":"الخير هو المعنى الذي يقع في خبرتنا وكأنه ينتمي إلى حالة من حالات النشاط حين ينتهي موقف تتشابك فيه دوافع وعادات متضاربة إلى نهاية يخرج فيها كل هذا في صورة فعل موحد منظم"، وبالتالي فإن "الخير" الذي يتطلبه "الموقف" لابد من أن يتخذ صورة كشف أخلاقي يكون علينا الإهتداء إليه في ضوء العيوب الحالية والشرور الواقعة [2]، وهكذا تكون الحياة الأخلاقية في نظر "ديوي" ما هي إلا صورة من صور "البحث"، من حيث أن كل بحث يتضمن بالضرورة إحلال النظام والإتساق والتوازن محل الفوضى والإضراب وعدم التوازن، وإذا كان ثمة واجب أخلاقي يفرض نفسه علينا بطريقة قطعية صارمة، فما ذلك سوى واجب "البناء" الذي تفرضهعلينا ضرورات "النمو" ومقتضيات التحسين [3]، إن الصفة المميزة "لديوي" عن غيره من البراجماتيين مثل "بيرس" و"جيمس" هي محاولته إستخدام منهج العلوم في التفكير في القيم –الأخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها– تفكيرًا قد ينتهي إلى تغييرها تغييرًا يناسب ظروف الحياة الحاضرة، أو بعبارة أخرى، هي إتخاذه من الفكر "ذريعة" للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه في مجتمع صناعي ديمقراطي كالمجتمع الذي تعسش فيه الولايات المتحدة في عصرنا الراهن [4]، "ديوي" كان بفلسفته داعيًا إلى تغيير القيم لأن الحياة التي أحاطت به كانت تسير بالفعل نحو هذا التغيير، فلو إستطعنا أن نحدد الأهداف التي إرتسمت في تصوره، والوسائل التي رآها

[1] – فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص121.
[2] – المرجع نفسه، ص121.
[3] – فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص121– 122.
[4] – زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص159.

موصلة لتلك الأهداف، إستطعنا فهم فلسفته وعندئذٍ نرى كيف تتكامل في نظرة واحدة شاملة لما عساه أن يحقق التقدم في مجتمعنا [1].

فليس هناك قيم ثابتة على الزمن لا تتغير مهما تغيرت الظروف والمواقف، إنما القيم ملازمة للحياة في تغيرها، فكلما تغيرت هذه، تغيرت تبعًا لها تلك، إذ ما عسى أن تكون هذه القيم في الأخلاق أو في السياسة أو غيرها إن لم تكن أدوات يستخدمها الإنسان في سلوكه [2]، إن القيم التي هي "خارجية" أو "طارئة" أو أداتية يمكن تقدير قيمتها منطقيًا لأنها ليست سوى وسائل، وليست غايات في أي معنى حقيقي، وكوسائل فإن فاعليتها يمكن تقريرها وتحديدها بوسائل تتحمل الفحص العلمي، ولكن "الغايات" التي تخدمها هي مجرد مسائل لما يصادف أن تحبه أو تكرهه، بدون تعقل، أي من الجماعات أو الطبقات أو الشيع أو الأجناس وهلم جرى [3].

ولقد فات العلم المادي – مؤقتًا فقط – وسبق العلم النفسي بأشواط كبيرة، لقد سيطرنا على المادة بأجهزتها وأدواتها بشكل كافٍ يتيح لنا إنتاج خيرات ممكنة ولكننا لم نكسب معرفة بالظروف والأحوال التي بواسطتها تصبح القيم الممكنة حقيقة واقعة في الحياة، ومن ثمة فمازلنا تحت رحمة العادة والمصادفة –كيفما إتفق– وعلى ذلك تحت رحمة القوة [4]، (أي القوة الإنسانية التي سيطرت على الطاقات والقوى المادية للطبيعة). ويرى "ديوي" وأنصاره بأن القيم هي علاقة بين الإنسان والموضوعات التي يرى أن لها قيمة وقد أكدو أن الأساس الميتافيزيقي للقيم قد تحول من إعتبارها ذات قيمة ذاتية إلى إعتبارها علاقات تقوم بين الإنسان والموضوعات التي يرى أن لها قيمة وأن هذه العلاقات تتضمن نوعًا من الرأي في شيء أو شخص أو معنى كما أنها تتضمن أيضًا شعورًا وإتجاهًا

[1]– المرجع نفسه، ص164.
[2]– المرجع نفسه، ص167.
[3]– رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص177.
[4]– رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق ، ص175– 176.

نحوه وتفضيلاً له [1]، "و لما كانت القيم الأخلاقية وثيقة الصلم بالقيم الإجتماعية فإن نظرة "ديوي" فيها كنظرة غيره من البراجماتيين وتمثل نظرياتهم للأخلاق وسيلتهم للدفاع عن مواقفهم لمواجهة الموقف المادي من القضايا الإجتماعية، إذ يرفضون مطلقية الحقائق مستدلين بما أفضت إليه نتائج العلم الحديث، لهذا إعتبر "ديوي" القيم الأخلاقية تخضع في أحكامها في السلوك الإجرائي كنتيجة للتفاعل داخا الخبرة، فالأخلاق عنده تتميز بالفعالية ونتائجها ليست متعالية كما زعم أفلاطون، وليست مجرد صفة شخصية وإنما هي ناشئة من الخبرة" [2]، "و هذا القياس الموضوعي هو الذي ميز نظرته في الأخلاق على نظرة غيره من المتدينين والعاطفيين الذين يؤسسون الأخلاق على النية والإرادة، وإنعكس على توجهه العلمي في القضايا الإنسانية والتربوية فدعى إلى تطبيق المنهج التجريبي فيها مما يوحي بثبات موقفه المتسم بميله العلمي" [3]، "و لذلك يرى "ديوي" أن القيم والمعرفة البراجماتية ذات مصدر واحد هو الخبرة والنشاط الذاتي والتجربة النافعة المفيدة للفرد، يقول "ديوي": إن من أبرز الأفكار المتصلة بنظرة الفلسفة البراجماتية للقيم أن مصدرها هو الخبرة والنشاط الذاتي والتجربة وهذا بالتأكيد يعني أن القيم عند البراجماتيين هي نتيجة إجتهاد الإنسان في تتابع الخبرات وقدرته على إستخلاص نتائج التفاعلات المختلفة من هذه الخبرة [4]، ولما كان الشغل الشاغل "لديوي" هو تغيير القيم في المجتمعات الإنسانية وذلك عن طريق المنهج العلمي لإحداث هذا التغيير للقيم الأخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها، ولهذا سمي مذهبه بالمذهب الأداتي لأنه يتخذ من "الفكر" "أداة" للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه من تغير في مجتمع صناعي ديمقراطي كالمجتمع الذي نعيش فيه اليوم أو على الأصح كالمجتمع الذي تعيش فيه الولايات المتحدة الأمريكية [5]، وهكذا لم يستطع "ديوي" إما أن يكون بفلسفته داعيًا إلى تغيير القيم، لأن الحياة التي أحاطت به كانت تسير بالفعل نحو هذا

[1]- عبد اللطيف محمّد خليفة، إرتقاء القيم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد160 ص42.

[2]- البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي، مرجع سابق، ص18.

[3]- المرجع نفسه ، ص18.

[4]- نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البرجماتية، مرجع سابق، ص80.

[5]- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص118.

التغيير، ويمكن القول بمعنى ما أن "ديوي" قد إستبدل بمشكلة الصدق مشكلة القمة، إذ يعتقد "ديوي" إذا أرادت الفلسفة إصلاح نفسها فعليها أن تصبح منهجًا لمعالجة مشكلة البشر، ولهذا أطلق صيحته بإعادة بناء الفلسفة بأن تعود إلى التجربة وأن تنبذ المطلقات، وأن تحبذ فكرة التحكم في الطبيعة بواسطة الذكاء الخلاق للإنسان [1]، فما ميز "جون ديوي" على غيره هو محاولته إستخدام منهج العلوم في التفكير في القيم، فينبغي أن تكون الصورة المثلى التي نصور بها فضيلة من الفضائل بمثابة "فرض علمي" يخضع للتجربة العملية فإن ثبت صدقه مع الواقع كان بها، وإلا وجب أن نصوغه صياغة أخرى بحيث حقق للإنسان حياة يبتغيها، وليست العبرة هنا بكل فرد على حدى، بل بمجموع أمة أو الإنسانية كلها تمامًا كالفروض، ولا تتحقق للفرد بعينه وكفى" [2] ، فمذهب الأداتية سمي"بالأداتي" لأنه يتخذ من الفكر "أداة" للعمل على تحقيق كل متطلبات الإنسان في هذه الحياة وتغيير القيم لتواكب وتلائم أهدافه وكذا إصلاح الفلسفة بجعلها تقف على حل المشاكل التي تقف حاجزًا أمام مستقل زاهر للإنسان، وأن التجربة يمكنها أن تدخل وتدرس القيم لكي تعطي لنا نتيجة تستفاد من الخبرة التي تعطيها التجربة والتي يمكن أن تصبح قانونًا خدم الإنسان ويطور مجتمعه.

المبحث الثالث : نظرية المنطق عند جون ديوي

المنطق:

يعتبر "جون ديوي" المنطق دائم التقدم وذلك لأنه مرتبط بمناهج البحث ولذلك فهو يتطور بتطورها بما يخدم الحياة العملية للبشر، فهو علم وفن، وقد حاول "ديوي" تجديد المنطق الصوري قد

[1] - المرجع نفسه ، ص118- 119.

[2] - منصور بن عبد العزيز الحجيلي، البراجماتية عرض ونقد، مرجع سابق، ص291- 292.

أثبت عقمه وعدم تطوره لأنه فصل الصورية عن الواقع، وما جاء به "ديوي" هو ربط المنطق بالواقع وبالمادة وعدم الفصل بينهما.

فإن التجربة عند "ديوي" مخالفة تمامًا لتلك التجربة المعقولة عند "كانت"، والأحكام العقلية كما يفهمها "ديوي" ليست هي هذه الأحكام التي اعتاد المناطقة أن يقدموها لنا، ويربطون فيها بين موضوع عقلي ومحمول عقلي لا وجود لهما في الواقع بل هي الأحكام التي تنبع من الواقع ويكون موضوعها ومحمولها معبرين عن "موقف" تجريبي معين [1].

و إذا كانت الرابطة في الأحكام المنطقية التقليدية لا تعتبر إلا عن صلة فكرية بين الموضوع والمحمول العقليين، فإن الرابطة عند "ديوي" تؤدي وظيفة واقعية من حيث أنها فعل إسناد، تقوم فيها بإسناد محمول على موضوع في الواقع التجريبي، وعن طريق فعل أو سلوك عملي، وهي لا تصبح أحكامًا بمعنى الكلمة إلا إذا انتقلت إلى المرحلة العملية التي يصبح فيها الموضوع والمحمول كائنات وجودية تعيش في المكان والزمان الواقعيين[2]، من التجربة نبدأ ومن التجربة نعود... هذا هو ملخص نظرية البحث التي عرضها "جون ديوي" في كتابه: (المنطق: نظرية البحث) فالصادق عنده هو ما يفيد، والنتائج تستخدم على أنها اختبارات لابد منها للدلالة على صدق القضايا، شريطة أن تتناول هذه النتائج من حيث هي عمليات يمكن إجراؤها، ومن حيث هي وسائل تؤدي إلى حل المشكلة الخاصة التي قد استدعت تلك الإجراءات [3].

وكلمة "البحث" عند "ديوي" هي ما يعارض به ما يسميه غيره من رجال المنطق "بالصدق" فليس هدفه كهدف هؤلاء تحديدًا للشروط التي يكون بها القول الصادق صدقًا– بمعنى المنطق للصدق– بل هدفه هو تحديد للشروط التي تجعل القول "المنتج" أدائيًا وفعالاً، فليس غاية البحث أن "يصف" من هنالك، بل أن "يغير" ما هو قائم إلى صورة جديدة تخدم أغراض الإنسان إزاء مشكلاته

[1]– يحي الهويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، مرجع سابق، ص159.

[2]– المرجع نفسه، ص160.

[3]– فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص120.

التي تعترضه [1]، وعليه فلا نجد عند "ديوي" أهدافًا محددة للبحث، كما أن الأهداف والغايات عنده ليست ضربًا من الحقيقة المجردة، فالغايات التي نضعها لأنفسنا لا تكون نهائية إلا قبل أن ننجز فإذا أنجزنا معًا أصبحت وسائل إلى غايات أخرى نسعى إلى تحقيقها، والأفكار ليست سوى "أدوات" تقودنا إلى الفعل، وينبغي أن نفهم في حدود الأفعال التي تؤدي إليها، ومن هنا كانت تسميته لمذهبه ب"الأداتية" [2]، فأهم ما يميز منطق "ديوي" هو اتصال الخبرة الإنسانية، فتيار الخبرة متصل، يؤدي كل جزء منها إلى الجزء الذي يليه، وكل حل لمشكلة يعين على معالجة مشكلة تليها وهكذا يستحيل الفصل في حياة الإنسان بين مرحلة الإدراك الفطري للمشكلات المختلفة التي يستهدف به جانب المنفعة والمتعة، وبين مرحلة البحث العلمي كما نعرفه اليوم، فهذه امتداد لتلك، والمنطق الذي يفسر هذه هو نفسه المنطق الذي يفسر تلك [3].

على هذا الأساس لم يقر "ديوي" ما يذهب إليه المناطقة عادة من أن القضية هي الجملة التي يجب أن نأخذ بها هي تلك التي تكون ذات مهمة أدائية تؤديها في عملية البحث، فالقضايا عنده "وسائل" نتوسل بها إلى بلوغ هدف مقصود، وعلى ذلك فهي لا توصف بأنها صادقة أو كاذبة، بل توصف بأنها مؤدية إلى الغرض المقصود، أو غير مؤدية إليه [4]، فالقضايا لا يمكن انتزاعها عن بقية القضايا الأخرى كما يفعل المناطقة عادة، لندعي أنها وحدة قائمة بذاتها، لأن القضية عند "ديوي" لا تكون "قضية" إلا بمقدار من تؤدي إلى غيرها، ثم إلى غيرها، وهكذا حتى تنتهي آخر الأمر إلى "حكم" أخير يكون بمثابة حل للمشكلة التي نكون بصدد معالجتها وحلها، فالقضية بهذا المعنى هي دائمًا وسيلة إلى غيرها [5]، وعلى أساس منطق "ديوي" سميت فلسفته باسم "فلسفة الذرائع" أو "فلسفة الوسائل" أو "الأداتية"، ذلك لأن كل فكرة هي بمثابة ذريعة أو وسيلة أو أداة لبلوغ هدف

[1]- المرجع نفسه، ص120.
[2]- المرجع نفسه، ص121- 122.
[3]- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص70.
[4]- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص71.
[5]- المرجع نفسه، ص72.

منشود، وكل ما يؤدي إلى هذا الهدف فهو حق، فصحة التفكير تقاس بمقدار ما يحرزه من النجاح وفي هذا يقول "ديوي":"أن كل ما هدانا حقًا فهو حق" والهداية هنا خاصة بعملية البحث، أي عملية الانتقال من مشكلة إلى حلها [1]، المنطق فن وعلم في آن واحد، فهو علم من حيث هو يمدنا ببيان وصفي منظم ومختبر للطريقة التي يمضي بها نسق التفكير في واقع أمره ما دام على أساس هذا الوصف يعكس ويبرز الطرائق التي بها سيفيد التفكير اللاحق من العمليات والإجراءات التي تفضي إلى النجاح ويتحاشى تلك تنتهي بالإخفاق [2]، فالإنسان ليس منطقيًا، وتاريخه الفكري هو سجل للمدخرات العقلية الاحتياطية وللتسويات والشبهات والحلول الوسط، وهو يتشبث بما في وسعه أن يتشبث به من معتقداته القديمة حتى عندما يضطر إلى التنازل عن أساسها المنطقي [3] .

إذا كان التفكير الطريق الوحيد الذي يتم به تأمين الخبرة أثناء عملية إعادة تنظيمها فإن منطق يقوم بالتشكيل المنظم والواضح لإجراءات الفكر وعملياته التي تكمن عملية إعادة البناء من الاستمرار بصورة مختصرة ومفيدة واقتصادية، يكون المنطق بالغة الدارسين علمًا وفنًا، ويعد علمًا طالما يقوم تفسيرًا وصفيًا قابلاً للاختبار للطريقة التي يعمل بها الفكر، ويصبح فنًا طالما أن هذا الوصف يقدم مناهج يستطيع بها الفكر المستقبلي القيام بالعمليات التي تؤدي إلى النجاح وتجنب تلك التي تؤدي إلى الفشل [4]، وتعد النظرية المنطقية المعاصرة النظرية التي تجمعت حولها كل الخلافات الفلسفية وجعلتها محور اهتمامها، فبات أمام النظرية المنطقية ميدانًا واسعًا من الدراسات التجريبية ومعينًا لا ينضب من طرق البحث والموضوعات المختلفة، فيحسم الخلاف مسألة ما إذا كان المنطق تجريبي أو معياريًا ذاتيا أو موضوعيًا، واضح أن المنطق يكون تجريبيًا ومعياريًا في نفس الوقت [5] .

[1]- المرجع نفسه، ص72.

[2]- رالف.ن.وين، قاموس جون ديوي للتربية، مرجع سابق، ص209.

[3]- المرجع نفسه، ص210.

[4]- جون ديوي، إعادة بناء الفلسفة، مصدر سابق، ص127.

[5]- المصدر نفسه، ص126- 127.

واعتبار المنطق دائم التقدم فهذا منظور إليه من زاويتين: من زاوية المفهوم الذي حدده "ديوي" له، فهو نظرية في البحث، ومن هنا فهو مرتبط بمناهج البحث وليس منفصلاً عنها، ومن زاوية أخرى فهو يرتكز على تحليل أفضل هذه المناهج، والتحليل هنا وثيق الصلة بالخبرة، والخبرة معيار لمدى صلاحية هذا المنهج أو ذاك، ففيها: تتجلى حقًا نتائج طرق البحث والاستدلال المختلفة على نحو يقنعنا بسدادها أو فشلها [1]، "ولهذا فالبحث المنطقي هو عملية تحويل موجهة منضبطة نستطيع عن طريقها أن نحيل موقفًا غير محدد إلى موقف هو من التحديد في مقوماته وعلاقة بحيث أنه ليملك إحالة عناصر الموقف الأصلي إلى كل موحد، والتنظيم العلمي للبحث المنطقي يقتضي أن تكون الفكرة لازمة عن فكرة ومؤدية إلى أخرى، ذلك هو التناسق المنطقي الذي يكون في الفكر وفي كل بحث علمي وهو الذي صرح به "ديوي" حينما قال: أن تؤدي فكرة إلى فكرة أخرى وتؤديها، هو ما نقصده باصطلاحي (منطقي ومعقول) [2]، ورأي "ديوي" في إشكالية المنطق هل هو علم أم فن؟ يلخصها لنا موقفه في كتابه "تجديد في الفلسفة" معتبرًا إياه فنًا وعلمًا في آن واحد حيث يقول:"فالمنطق بالتعبير المألوف للمشتغلين بدراسته علم وفن، فهو علم من حيث هو وصف منظم محقق للطريق الذي يجري فيه التفكير فعلاً وهو فن بقدر ما يزودنا على أساس هذا الوصف بطرق تجعل من التفكير المقبل يستفيد من العمليات التي تؤدي إلى النجاح فيه ويتفادى تلك التي تؤدي إلى الإخفاق[3]، "ويرى "ديوي" أن هناك وجهات نظر أربع في تصورها لطبيعة العلاقات:

1-وجهة النظر التي تقول أنها تكون عالما قوامه الإمكانيات الخالصة.

2-وجهة النظر التي تقول إنها الثوابت التي تقيم نظام الطبيعة .

3- وجهة النظر التي تقول إنها قوام البناء العقلي للكون .

[1]- محمد الجديدي، فلسفة الخبرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، تونس، سنة 2004، ص162.

[2]- البار عبد الحفيظ، فلسفة التربية عند جون ديوي، مرجع سابق، ص17.

[3]- محمد الجديدي، فلسفة الخبرة، جون ديوي أنموذجا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، تونس، سنة2004، ص108.

4- وجهة النظر التي الوضعية المنطقية التي تذهب إلى أن المنطق معنى بالبناء الصوري للغة باعتبارها نسقًا من الرموز " [1].

إن هذه الوضعية التي يوجد عليها المنطق والتي لا تبعث على التفاؤل بخصوص الاتفاق حول موضوعه ومداه، حفزت "ديوي" إلى معالجة هذا الموضوع من الزاوية الفلسفية التي يتبناها، وذلك بالنظر في المنطق من منظور تاريخي، وتتبع منشئته في جذوره الأصلية حيث يرتكز نقد "ديوي" لمنطق "أرسطو" بالأساس على ظروف العلم والثقافة اليونانية التي أمدت المنطق الأرسطي بأسسه ومادته، وهي غير الظروف التي نشأ في ظلها العلم الحديث، وأدت إلى قيام نماذج أخرى من المنطق لاحقًا[2]، حيث يقول "جون ديوي" في كتابه المنطق نظرية البحث:"إن موضوع الإشكال أمام الصورية المنطقية بمعناها الدقيق، بل أمام كل نظرية تفترض افتراضا أوليًا بوجود صور قائمة بمعزل عن المادة، أقول إن موضع الإشكال ليبلغ غاية حرجة في مسألة العلاقة بين المنطق من ناحية والمنهج العلمي من ناحية أخرى"[3].

لأنه إذا عجز المنطق الصوري عن تناول الخصائص المميزة للمنهج العلمي، فإنه لابد للصورية الخالصة أن تنتهي بمن يقبلون فكرتها إلى الامتناع امتناعا تامًا عن أية إشارة كائنة ما كانت إلى المنهج في العلوم الطبيعية، مادام ذلك المنهج معنيًا –بداهة- بمواد الواقع، لكن الأمر ليس كذلك، فالمنطق الصوري لا يرضيه أن يترك موضوع المنهج في العلوم القائمة على الوجود الخارجي، بحيث لا يمسه أبدًا[4].

فالمنطق الأرسطي لم يتطور لأنه تأثر بالظروف المحيطة والمتمثلة في الثقافة اليونانية ارتباطه بالصورية والمثالية وانفصاله عن المادة منعه من التقدم وخدمة البشرية وإيجاد الحلول لمشاكل قد تكون بسيطة أو معقدة وقد تكون صورية مرتبطة بالطبيعة .

[1]- المرجع نفسه، ص110.

[2]- المرجع نفسه، ص110- 111.

[3]- جون ديوي، المنطق نظرية البحث، تر:زكي نجيب محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، سنة2010، ص588.

[4]- جون ديوي، المنطق نظرية البحث، مصدر سابق، ص588.

إن من أهم السمات التي تتسم بها النظرية المنطقية هي أنها تحليل لمفاهيم العلم وطرائقه تحليلاً يبرز صورها، ومن ثمة كان الارتباط وثيقًا بين النظرية المنطقية والأساس الذي يقوم عليه العلم في العصر المعين، فالتأمل مثلا للفكر العلمي في العصر اليوناني، يجد أنه كان يتسم بالصورة الرياضية بالمعنى الذي يجعله دائمًا يسير من مبدأ مفروض إلى النتائج التي تتولد عن ذلك المبدأ، وكل ما هو مطلوب هو أن تتسق النتائج مع ما تولدت عنه من مقدمات دون ضرورة أن تتفق هذه المقدمات مع الواقع الخبري [1]، وفي كتاب المنطق نظرية البحث يحدد "ديوي" الخطوات التي يخطوها الباحث ليقوم بالبحث بوجه عام، فيقرر أن عملية "البحث" تتضمن الخطوات التالية:

1- "قيام موقف غامض غير محدد، ووجود حالة اضطراب في التوازن بين جهاز الإنسان وبين البيئة المحيطة به.

2- قيام مشكلة، وتغير الموقف من الغموض إلى الإشكال، نتيجة لاهتمام الباحث.

3- وضع فرض، واستباق نتائج بعض العمليات .

4- استنباط نتائج الفرض.

5- إنهاء البحث بإقرار نتيجة من شأنها أن تحدد الموقف" [2].

وخلاصة هذا الكتاب أن "الفكرة" –أي فكرة- لا تستحق أن تسمى بهذا الاسم ما لم تكن ذات علاقة وثيقة بموقف ماثل أمام صاحبها بأن تقدم له حلاً مقترحًا لما يكتنف ذلك الموقف من إشكال، ولكن ما الذي يدل على أن "الفكرة" صواب؟ يدل على ذلك أن تطبق فتنفع، إذًا فمعنى "الفكرة" و"طريقة تطبيقها" شيء واحد، وما لا تطبيق له لا معنى له، فالفكر لا يكون فكرًا إلا إذا كانت له علاقة وسيلة بما ليس فكرًا، فالمنشار يشق ما ليس بمنشار [3].

[1]- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، مرجع سابق، ص63.

[2]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص502.

[3]- منصور بن عبد العزيز الحجيلي، البرجماتية عرض ونقد، مرجع سابق، ص292- 293.

وتبعًا لذلك فإن "البحث" عملية منطقية يراد من ورائها إحالة مواقف غير محددة وباعثة على الشك إلى مواقف محددة وبعثة عن اليقين، وخلاصة النظرية الأداتية التي يقدمها "ديوي" في مضمار المنطق هي أن:"البحث المنطقي يمثل عملية تحويل من وجهة منضبطة، تستطيع عن طريقها أن نحيل موقف غير محدد إلى موقف هو من التحديد في مقوماته وعلاقاته بحيث ليملك إحالة عناصر الموقف الأصلي إلى كل موحد"[1]، ولهذا يقرر "ديوي" أن "التفكير" هو عبارة عن فحص المعاني عن طريق الرموز والقضايا ثم يجئ بعد ذلك مرحلة "التجريب"، أو اختبار الأفكار (المعاني) فيحاول الباحث التحقق من صدق النتيجة التي اقتادها إلى البحث، عن طريق التأكد من أن "الحل" الذي وصل إليه يزيل بالفعل "الإشكال" الذي انطلق منه، ومعنى هذا أن تكون النتيجة "الناجحة" بمثابة تحويل للموقف الإشكالي إلى موقف واضح لا ارتباك فيه، ولا أثر فيه للصراع أو عدم التوازن[2]، ومعنى ذلك أن الفكر يستحيل قيامه بغير "مشكلة" فعلية، أما أن تجلس في كرسيك وتتأمل في فراغ، ثم تظن أنك "تفكر" فأمر لا يقبله البراجماتيون جميعًا، بل إن "العقل" نفسه هو نمط من سلوك بدني نلاحظ فيه أنه هو السلوك الذي يحاول أن يحقق هدفًا بعينه في مواقف الحياة الفعلية فيرى:"ديوي أن كل حقيقة إنما هي خطوة في طريق متسلسل يؤدي في النهاية إلى"حل" لمشكلة معينة، وهذا الحل الأخير نفسه يستحيل أن يكون حقيقة قائمة بذاتها، بل إنه سرعان ما يصبح حلقة في سلسلة فكرية جديدة يراد بها حل إشكال جديد"[3]، "فالفكر لا يكون فكرًا إلا إذا كانت له علاقة وسيلة بما ليس فكرًا، فكل فكرة هي أداة أو هي وسيلة تعالج شيئًا سواها، تعالج موقفًا خارجيًا، أما أن تظل الفكرة مستندة إلى فكرة أخرى، وهذه إلى ثلاثة وهلم ما جرا، فطريق لا نتجاوز به حدود جمجمة الرأس من الداخل، مع أن الفكر لا يكون فكرًا إلا إذا جاوزت النظرية حدود الرأس من حيث العمل" [4] .

[1]- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، مصر، ص67.

[2]- المرجع نفسه، ص 68.

[3]- زكي نجيب محمود، من زاوية فلسفية، مرجع سابق، ص222- 223.

[4]- المرجع نفسه، ص224.

مما يعني "أنه إذا تغير الأساس الذي يقوم عليه العلم في العصر الحاضر، وجب أن يتغير معه منطق التفكير، وقد قام "ديوي" بهذه المحاولة على أساس ما برهن عليه من أنه لا انفصام ولا اختلاف بين مجال الأمور الإنسانية ومجال الأمور الطبيعية، وإذا كان هناك اختلاف، فهو اختلاف من الدرجة وليس اختلافا من النوع، بحيث يجعل لكل منهما منهجًا خاصًا تعالج به مسائله، فنظرية "ديوي" المنطقية هذه تصلح لمعالجة كافة الموضوعات سواء كانت خاصة بالنواحي الإنسانية أم بالنواحي الطبيعية" [1]، حيث يقول "ديوي":"إن مشكلة ثقافتنا المعاصرة أن تحل التكامل محل الانقسام، وطريقنا إلى ذلك لا يكون إلا بوسيلة منطقية موحدة نتخذها فيما نتناوله ونجربه، ولن نتمكن من ذلك إلا إذا اعترفنا بما يوجد في بناء البحث من وحدة سواء كان هذا البحث بحثًا في مجال الأمور الإنسانية أو في مجال الأمور الطبيعية وأن نعتبر ما قد يكون بينهما ناتجًا عن أن كل منهما منطقًا خاصًا به" [2]، "فديوي" يرى أن موضوع المنطق هو عالم الواقع الذي نعيش فيه ومحاولة الربط بين عالم الفكر وعالم الواقع، إنه منطق يتلائم مع نزعة "ديوي" الفلسفية، نزعته الإنسانية نحو التربية والحضارة والمجتمع، منطق يتفق مع سلوك الإنسان كل ساعة وكل يوم حين يصدر أحكامه على المواقف ويزينها، ويرجع مسلكا على غيره، منطق لا تنتهي أحكامه بتقرير القضايا التي تصل بين الموضوع والمحمول، ولكنه منطق أحكامه مفتوحة غير مغلقة نظرًا إلى استمرار الأحكام واتصالها في مجرى الخبرة" [3]، ولكي نفهم وجهة نظر "ديوي" ينبغي أن نرجع إلى المنطق التحليلي، ذلك المنطق الذي يلغي بحبره قلم الأحكام التقديرية، لأنها لا تقرر واقعًا، ولا يمكن أن نصفها بالصدق أو الكذب، وقد أعفى "ديوي" نفسه من عبئ القول بالصدق أو الكذب والصدق عند هؤلاء

[1] – سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، مرجع سابق، ص64.

[2] – المرجع نفسه، ص64.

[3] – أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص114.

المناطقة هو مطابقة ما في الذهن لما هو في الواقع، وهو ما يعبر عنه بالحق، فلم يستعمل هذا الاصطلاح في كتابه الأخير عن المنطق أو نظرية البحث[1] .

وأن الفكرة لا تكون صادقة إذا ساعدتنا على التوصل إلى النتيجة التي نرجوها، ولا تكون القضية صادقة إلا إذا أعانتنا على التقدم من البحث حتى نصل إلى حل الإشكال الذي نبحث له عن حل، فالقضية المنطقية هنا أداة للاستمرار في البحث المتصل حتى تصل إلى النتيجة النهائية التي تكون بمثابة حل للإشكال الذي دفعنا إلى البحث[2].

فنزعة "ديوي" الفلسفية ربطت المنطق بالتربية والحضارة والمجتمع، منطق يتفق مع سلوك الإنسان ومع متطلباته ورغباته وطموحه، منطق قادر على إيجاد الحلول لمشاكل لها علاقة بالواقع والطبيعة، عن طريق البحث الصادق الذي يحقق نتائج تخدم العلم والمنهج العلمي وتحقق الخير والنفع للفرد والمجتمع بما يخدم التطور الصناعي والديمقراطي الذي يصبو إليه.

ولقد طبق "ديوي" المبدأ البرجماتي في مجال المنطق، وأهم ما يميز منطق "ديوي" هو اتصال الخبرة الإنسانية، فتيار الخبرة متصل، يؤدي كل جزء منها إلى الجزء الذي يليه، وكل حل لمشكلة يعين معالجة مشكلة تليها، وهكذا يستحيل الفصل في حياة الإنسان بين المرحلة الأولى التي كان إدراكه فيها للمشكلات المختلفة إدراكًا فطريًا يستهدف به جانب المنفعة والمتعة، وبين المرحلة اللاحقة وهي مرحلة البحث العلمي كما نعرفه اليوم، فهذه امتداد لتلك، والمنطق الذي يفسر هذه هو نفسه المنطق الذي يفسر تلك" [3] .

وعلى أساس فكرة الاتصال هذه لا يقر "ديوي" بمذاهب المنطق الأخرى على تفتيت عملية الفكر إلى وحدات، هي القضايا، بحيث تستطيع أن تقول عن القضية الواحدة، وهي بمعزل عن سواها، أنها

[1]- المرجع نفسه، ص116.

[2]- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص52- 53.

[3]- محمد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص70.

صادقة أو كاذبة، إذ إن القضية في رأيه لا تكون إلا خيطًا من نسيج، وحلقة من سلسلة، ومرحلة من مراحل السير نحو حل لمشكلة بعينها أولا، ثم الاستفادة بنتيجة البحث في تلك المشكلة المعينة في حل مشكلة أخرى، وهكذا [1]، إن ذلك يفرض أن يلعب التفكير دورًا مهمًا في عملية الخبرة بحيث نستطيع أن نقول إن الخبرة دون تدخل التفكير تعود إلى ما كانت عليه حيث كانت مجرد تكديس للمعلومات والإحساسات، والتفكير هنا لا يأتي من مصدر خارج وإنما ينبع هو الآخر من مجرى الخبرة ذاته، إنها هي التي تقترحه وهي التي تختبره وتجربه، والعقل بهذا المعنى ليس ملكة منفصلة عن الخبرة، وإنما هو هذا التوجيه الذكي الناتج عن الخبرة الموجه لها في آن واحد[2]، ولهذا فإن الأفكار التي يتحدث عنها "ديوي" ليست أفكارًا مجردة وليست أحكامًا منطقية، نظرية كتلك التي اعتاد المناطقة أن يقدموها لنا ويربطون فيها بين موضوع عقلي ومحمول لهما في الواقع بل هي بالأحرى تعبر عن أحكام تنبع من الواقع ويكون موضوعها ومحمولها معبرين عن موقف تجريبي معين، وما أشبه الأحكام النظرية بالفروض التي يلجأ إليها العالم التجريبي والتي لا تصبح قانونًا إلا بعد التحقق من صحتها في المختبر [3].

إذ يستحيل فصل الأفكار النظرية عن تطبيقها العملي، ثم تظل مع ذلك أفكارًا توصف بالصواب والحق، فالفكر والعمل طرفان لخيط واحد، أو جانبان من شيء واحد، أحدهما مكمل للآخر ومتصل به اتصالا وثيقًا ليست علاقة الفكر بمقصورة على زميلاتها من الأفكار، بحيث يبدأ الأمر وينتهي داخل الرأس بغض النظر عن الواقع الخارجي، بل الفكرة خيط من نسيج خيوطه مزيج محتوم من أفكار في الداخل وحوادث طبيعية في الخارج [4] .

ولا تفكير إلا إذا اعترضت الإنسان مشكلة تتطلب الحل، أعني أنه لا تفكير إذا لم نجد حقائق الواقع متعارضة مع تحقيق أغراضنا فلا تفكير إذا ظل الإنسان سابحًا في "فكرة" بعيدًا عن دنيا

[1]- المرجع نفسه، ص70.

[2]- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، مرجع سابق، ص66.

[3]- يحي الهويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص138- 139.

[4]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص168.

الحوادث الخارجية، لأنه عندئذٍ يكون حالما أو كالحلم [1]، وليست مهمة الأفكار الانهماك في التعميمات بل الاستجابة للمواقف الناشئة عن مشاكل، وبقدر ما تكشف عن أنها فعالة، وأدوات ناجحة في علاج هذه المشاكل، فإنها تكون أوفر حظًا من الحقيقة أو الصحة، والفكر إذا تلعثمت في معالجة موقف أو مشكلة توصف بأنها فرض، إنها تتردد بين "إذا" و"ربما"، إنما مجرد اقتراح أو حزر لكنها تتحول إلى "حقيقة واقعية" إذا توقفت عن التردد والتأرجح وصارت فعالة [2].

وبالاعتراف بمكانة الفكر الفعال الذي يضع الخطط داخل عمليات الخبرة ذاتها ثم تكسبه هي تمحيصًا وصقلاً وثراء...إن الاعتراف بهذا، يحطم تلك الحدود التي أقيمت لتحديد مجالين للمعرفة الإنسانية: مجال للأمور العقلية ومجال الأمور الواقعية، عالم العقل وعالم الخبرة، وبالتالي فليس هناك منطق خاص يتميز به مجال الواقع أو الخبرة أو الأمور الطبيعية يقوم على التجريب والاستقراء[3] .

فلقد قيل عن المنطق إنه العلم الذي يبحث في قوانين الفكر الضرورية، أو أنه علم العلاقات بصرف النظر عن صلتها بالفكر، ولكن "ديوي" لا يوافق على هذا الإتجاه، أي عزل قوانين الفكر أو العلاقات عن العالم الواقعي الذي نفكر فيه، بل مهمة المنطق الأساسية هي "البحث في علاقة الفكر من حيث هو كذلك بالواقع من حيث هو كذلك"، وهذه الصلة بين الفكر والواقع صلة لا انفصام فيها، فلما فصل بعض المناطقة بين قوانين الفكر وبين الواقع خيل إليهم أن هذه القوانين متعالية ثابتة وأنها الأصل في العالم الواقعي[4]، وصفوة القول أن الحياة العملية هي الأصل الذي يترتب عليه التفكير، فالعمل مباشر والنظر تابع، والبناء في المحل الأول والنقد في المحل الثاني معيشة يسودها التقييم ثم

[1]- المرجع نفسه، ص168- 169.

[2]- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، مرجع سابق، ص500- 501.

[3]- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، مرجع سابق، ص66.

[4]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص110.

وصف يتصف بالتجريد، وهذا لا ريب انقلاب في وجهة النظر المنطقية لأن سائر المنطق القديم كان يقدم النظر على العمل ويجعل قوانين الفكر أسمى وأثبت وأضبط من قواعد السلوك ومعايير العمل[1] .

وإنما كانت هذه الأمور العملية غير يقينية لأنها حادثة، متغيرة، متطورة، وبمعنى آخر خاضعة للزمان، أي تبدأ من الماضي وتستمر في الحاضر ولها تطور محتمل في المستقبل، ومهما يكن من شيء فهذه هي حقيقة هذا العام الذي نعيش فيه، ولا حيلة للمنطقي أن يهرب إلى عالم ضروري ثابت يقيني في عالم الفكر وحده، بل ينبغي على المنطقي أن ينظم بفكره ما يعيشه في عالم الواقع[2].

يقول "جون ديوي" في كتابه المنطق: "إن موضع الإشكال أمام الصورية المنطقية بمعناها الدقيق بل أمام كل نظرية تفرض افتراضا أوليًا بوجود صور قائمة بمعزل عن المادة، فالمنطق الصوري لا يرضيه أن يترك موضوع المنهج في العلوم القائمة على الوجود الخارجي، بحيث لا يمسه أبدًا، فاعتقاد أصحاب ذلك المنطق في أن ثمة رابطة تقوم على نحو ما بين المنطق والمنهج العلمي، ظاهر في استخدامهم لهذه العبارة التي تضيف أحدهما إلى الآخر، إذ يقولون:(المنطق والمنهج العلمي)[3].

فهذه العبارة تبدو البراءة عليها لأول وهلة وتكون المشكلة الحقيقية فيما إذا كانت هذه العبارة أولم تكن تحمل أي معنى على الإطلاق، ما دام المنطق يعرف على أساس الصور المستقلة عن المادة استقلالا كاملاً، لأن المسألة ليست هي ما إذا كانت الصور المنطقية تطبيق، أي تستخدم على هذا الوجه إذا كانت صورية خالصة، مع كون حقيقة البحث في الظواهر الطبيعية[4].

إن الخطأ الذي يقع فيه المنطق التحليلي هو إغفال عنصر الزمن، ومن ثمة هرب إلى فلسفة مثالية أو منطق رياضي، ولقد ذهبت المثالية إلى نتائج العلم أسمى مرتبة من معطيات الواقع، وأن عالم الواقع

[1]- المرجع نفسه، ص111.

[2]- المرجع نفسه، ص111.

[3]- جون ديوي،المنطق نظرية البحث، مصدر سابق، ص588.

[4]- جون ديوي،المنطق نظرية البحث، مصدر سابق، ص589.

مظهر أدنى من مظاهر عالم الفكر، من حيث إن الحقيقة هي المطابقة المنطقية بين عالم الفكر وعالم الواقع، وبذلك تثبت المثالية وجود العالم الواقع المحسوس من صدق وجود عالم الفكر وانتظامه، وعلى عكس ذلك تبدأ الواقعية من الأمور التي انتهت إليها المثالية[1] .

إن "ديوي" يؤكد أن كل الصور المنطقية إنما تنشأ داخل ما يقوم به الباحث من إجراءات، وهذه الإجراءات تعين على ضبط عملية البحث بصورة يستطيع بها الباحث أن يصل إلى نتائج مرضية ويحدد "ديوي" معنى البحث بقوله:"البحث هو التحويل المنضبط أو الموجه لموقف غير متعين تحويلاً يجعله من التعيين في صفاته المميزة له، وفي علاقاته الداخلية بين أجزائه بحيث تنقلب عناصر الموقف الأصلي لتصبح كلا موحدًا"[2].

وعليه يرى "ديوي" أن المنطق الحقيقي هو المنطق العملي الذي يقوم به الباحث ويخدم البحث فالمنطق هو الذي يبحث في قوانين الفكر الضرورية، فهو علم يربط الصورية بالمادة، ويهتم بالواقع ويبحث فيه، فمهمة المنطق الأساسية هي البحث في علاقة الفكر من حيث هو كذلك.

فالعلاقة بين الفكر والواقع هي علاقة تواصلية وليست انفصالية فالمنطق يخدم المنهج العلمي وهذا الأخير يخدم المنطق وكلاهما يخدم العلم والمعرفة ويقدم للبشرية النتائج التي قد تصبح قوانين تخدم الفرد والمجتمع والبيئة التي يعيش فيها، فالأشياء الحقيقية هي الأشياء المحسوسة المرتبطة بالواقع.

[1]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص111- 112.

[2]- سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، مرجع سابق، ص68- 69.

الفصل الثالث: القيمة الإبستيمولوجية لنظرية العلم عند جون ديوي

المبحث الأول: الأبعاد والآفاق.

المبحث الثاني: النقد(رؤية موضوعية و شخصية).

تمهيد :

إن كل نظرية ولكل فيلسوف أفاقه وأبعاده التي يطمح أن يصل إليها وفيلسوفنا فلقد أراد أن يؤسس نظرية تكون منهجًا في الحياة وقد أكد على العمل للفرد والمجتمع ودوره في بناء سرح الأمة والنهوض بالحضارة، مركزًا في ذلك على أهمية التربية بناء وتعليم جيل يكون قادرًا على العمل وتحمل على أعباء المجتمع والدولة، وقد شبه الدولة بالمدرسة من حيث الديمقراطية التي ينبغي أن تعطى التلاميذ، كما أراد "جون ديوي" أن يدخل في دراسة القيم منهج العلوم ومحاولة اكتساب الخبرة منها عن طريق التجربة، وقد أعطى أهمية كبيرة للفن والثقافة والحضارة والسياسة محاولاً إيجاد حل لمشكلة المنهج في العلوم الإنسانية عن طريق التجريب عليها، ولكن رغم جهده الذي بذله من أجل الوصول إلى أهدافه إلا أنه قد تعرض للنقد من داخل وطنه وخارجه، وذلك لأنه قد أخل لبعض صيغ العلم كالصدق والكذب ورفض العمل بهما، وكذلك فهناك من رأى أنه لم يأتي بالجديد وأنه قد قلد من سبقه محاولاً تغيير المفاهيم فقط، فالبرجماتية عمومًا قد تعرضت للنقد نظرًا لأنها لم تؤمن بالماضي وجعلت من العمل وسيلة للتقدم والتطور ولو كان ذلك على حساب سائر العلوم وجميع الأمم .

ولهذا تكون فلسفة "جون ديوي" خادمة للفكر الأمريكي خاصة وللفكر الفلسفي عامة، ذلك أنه أراد للبشرية أن تعيش واقعها ضمن ما تتوفر له الإمكانيات وآليات وأدوات فكرية أو مادية من أجل الوصول إلى السعادة.

المبحث الأول: الأبعاد والأفاق.

التربية:

لقد أسس "جون ديوي" لنظريته العلمية والتربوية راجيًا تحديد الكثير من الأهداف والأبعاد التي طمح إلى الوصول إليها بدءًا بالتربية ودور المدرسة في المجتمع وهو ما اشتهر به "ديوي" وعرف به في بقاع العالم بأن التربية عملية اجتماعية يشارك فيها الجميع وكل فرد من أجل النهوض بالحضارة وتشجيع العمل.

إن الفلسفة الأخلاقية عند "ديوي" انتهت به إلى أفكار ثورية في مجال التربية، وهو المجال الذي أشتهر فيه "ديوي" بين العامة والخاصة بوصفه واحدًا من أعظم واضعي أسس التربية التقدمية وهي في الواقع أسس التربية التقدمية، وكان "ديوي" يرفض رفضًا قاطعًا طريقة التربية السلطوية القديمة التي تجعل من التلاميذ كائنات سلبية متقلبة ومتقلبة فحسب، وكان يطلق على هذه الطريقة اسم "نظرية المتفرج" في المعرفة [1]، فالعملية التربوية عند "ديوي" تتركز في تكيف الفرد مع البيت ومع الحياة الاجتماعية، إذ ينظر إلى المعرفة بوصفها قوة لا تتيح له السيطرة والتحكم في البيئة في نهاية الأمر فحسب، بل تتيح له أيضًا القيام بعمليات التجريب وإعادة التكيف في عملية تستغرق حياته كلها من أللهد إلى اللحد، وكان أشد ما يفرضه "ديوي" هو تحديد المقررات والموضوعات المدرسية، إذ ينبغي أن تكون تنمية اهتمامات الطفل محور الحديث والحوار، ولا ينبغي أن يكون التعليم مؤسس على موضوع معين[2].

فالتربية هي الحجر الأساس لبناء مجتمع ديمقراطي وصناعي متطور، وأنه لا يمكن أن نجعل ثقافة المجتمع هي المسيطرة على التربية وإنما على التربية أن تتمسك بالعلم والمعرفة لأنها السبيل الوحيد لتحقيق الديمقراطية وتحقيق التوازن والتوافق والرضا بين أفراد المجتمع.

[1]- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص122.
[2]- المرجع نفسه، ص122- 123.

وقد صاغ "ديوي" وجهة نظر مهمة كانت ثورية في وقتها، لأنها أعادت صياغة العديد من الأفكار التربوية السائدة، فقد أشار "ديوي" إلى ضرورة أن يجري التعامل مع الأطفال باعتبارهم متعلمين يتميزون بالنشاط وتتمركز طاقاتهم الإبداعية حول ذواتهم وحول العالم، وذلك في مقابل التصور التقليدي للطفل الذي كان ينظر إليه على أنه راشد مصغر وغير كامل[1].

"فديوي" ثم من بعده من أصحاب منحنى التربية التقدمية المتأثرون به، فأشاروا إلى أهمية الاستكشاف النشط للمعلومات، والمشاركة في الجهد، أي التفاعل بين المعلم والتلاميذ خلال العملية التعليمية وخلال اتخاذ القرارات المناسبة بشأنها، حيث يقوم التلميذ الإيجابي في عملية التعلم فهو يبحث عن المعلومات ويكشفها ولا يكتفي بدور المتلقي السلبي[2].

وكانت صياغة "ديوي" لمنهج التربية الذي نادى به وذلك بما يتوافق مع توجهاته البرجماتية وفق مبدأ "أن تعلم لتعمل"، وبهذا يكون المدرسة كمجتمع مصغر وكمؤسسة اجتماعية تلبي مطالب المجتمع وسوق العمل، فالمدرسة هي مكان للأفكار التي تساعد على حل المشاكل، وكما أنه هذه الأفكار ليست نافعة إن لم تمر عبر الخبرة والتجربة لصقلها ولجعلها نافعة ومفيدة.

فشعار التربية البرجماتية هو "تعلم بأن تعمل"، وهكذا تحولت المدرسة إلى مؤسسة اجتماعية ولتلبية مطالب سوق العمل، واكتسبت التربية الطابع النفعي المحض، فلا بد للتعليم أن تكون له قيمة الفورية، والمعرفة لا تطلب لذاتها، بل كأداة للعمل المنتج، والأفكار هي بمنزلة خطط عمل لحل المشاكل، وللتجربة والخبرة دور أساسي في الحصول على المعرفة، في ظل هذه المبادئ أصبحت المدرسة بمنزلة نموذج مصغر للحياة [3]، إن المدرسة على اختلاف مراحلها ومستوياتها كما يقول "جون ديوي" مؤسسة اجتماعية وهي صورة للحياة الجماعية للحياة الجماعية التي تتركز فيها جميع

[1]- شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد267، مارس 2001، ص262.

[2]- المرجع نفسه، ص425.

[3]- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 265، يناير2001، ص308.

تلك الوسائط التي تهئ الطفل للمشاركة في ميراث الجنس، وإلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية"، ومن هنا اعتبرت مشكلة زيادة الثورة اللغوية هي أول مشكلة تقابل المدرسة عند التحاق الطفل بها" [1]، ولهذا فمن المفروض أن تصبح العناصر اللغوية التي يكتسبها التلاميذ عن طريق التعلم منطلقات وبواعث لإكتساب أو اكتشاف عناصر أخرى أو إحياء عناصر مماثلة في طيات الذاكرة، وهذا يمكن أن يتحقق عن طريق إثارة الحوافز لممارسة النشاط اللغوي أو إثارة غريزة اللغة في التلميذ، وأن تجذب اللغة إلى هذا التلميذ، وأن تجذب اللغة إلى هذا التلميذ بطريقة اجتماعية ليتحقق اتصاله المستمر بالواقع [2]، ولهذا فلا يمكن للمجتمع أن يكون صادقًا مع نفسه بأية صورة من الصور إلا إذا كان صادقًا في تيسيره النمو التام لجميع الأفراد الذين يؤلفون ذلك المجتمع، وليس في هذا التوجيه الذاتي الذي قدمناه شيء يعتبر مهمًا كالمدرسة، فالتغيرات التي تحدث في طريقة التربية ومناهجها هي من نتاج الحالة الاجتماعية المتغيرة، وهي لذلك جهد يسد حاجات المجتمع الجديد الآخذ بالتكون [3]، وقد شهدت البرجماتية ظهورًا جديد في أمريكا على يد "جون ديوي" بمنهج جديد عرف بالنزعة الأداتية، فالفكر فيها آلة أو أداة تستخدم في حل مشكلات الحياة العملية [4] .

فالتربية قادرة على حل مشاكل الفرد والمجتمع وهي تقوم بوظيفة استغلال تبادل العلاقة بين الفرد والمجتمع وأن دور الفلسفة في التربية هي البحث وإيجاد الحلول ومعالجة تصدع العلاقة بين الفرد والمجتمع.

يرى "ديوي" لأن الفلسفة بإمكانها معالجة انفصام العلاقة بين الفرد والمجتمع وأن وظيفة التربية تقوم على استغلال تبادل العلاقة بينهما إلى أقصى حد، وأن التربية واحد عليها أن لا تقيد الفرد

[1]- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد212، أغسطس 1996، ص134.

[2]- المرجع نفسه، ص163.

[3]- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، مصدر سابق، ص31- 32.

[4]- عبد الوهاب جعفر، مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، مصر، ص489.

في أثناء تعليمه بقيود، بل توفر له الفرصة للتدرب على حل المشكلات، وتعطيه الفرصة ليتعلم بنفسه ويتفهم آراء الآخرين، ومن هؤلاء الناضجين تتكون المؤسسات الاجتماعية التي من شأنها أن تضع القرارات والقيود وتشكل القيم [1] .

و تتلخص نظرية "ديوي" في التربية في الأمور التالية:

1- أن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري، وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة.

2- تتم هذه العملية لا شعوريًا، عن طريق المحاكاة، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل إلى جيل.

3- التربية ثمرة علمين هما: علم النفس وعلم الاجتماع، فهي تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى [2] .

ويمكننا أن نبرز الخصائص التي تضمنها مفهومه للتربية التقدمية فيما يلي:

1- إن التربية التقدمية أو الجديدة عملية اجتماعية تنشأ بإشراك الفرد في الوعي الاجتماعي.

2- إنها عملية حياة تخالف الرأي التقليدي في كونها عملية تهدف إلى إعداد الطفل للمستقبل.

3- إنها التغير الحاصل في الفرد نتيجة الخبرة، حيث تضمن استمراريتها من خلال نقلها من جيل إلى جيل، ولا تفرض أساليبها على الأطفال بل تعمل على تنمية قدراتهم الكامنة.

4- إن هدفها هو استمرار النمو والمزيد منه في كل مرحلة لأن التربية التي لا تراعي ذلك لا يمكنها أن تنشئ مجتمعًا جديدًا [3] .

5- تعتبر التربية جديدة المعارف التعليمية ليست غايات وإنما هي وسائل للنمو ودالة عليه.

---

[1]- أبو زيد بن مُحَمَّد مكي، ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 48، ذو الحجة 1430هـ، ص665.

[2]- نايف بن عبد الرزاق، الفردية في الفلسفة البراجماتية، مرجع سابق، ص44.

[3]- البار عبد الحفيظ،فلسفة التربية عند جون ديوي، مرجع سابق، ص28.

6- عن طريقها يتم اكتساب المفاهيم الحقيقية بتنمية الذكاء وبالتالي تنمية الشخصية بمستوياتها الإدراكية والوجدانية والحركية.

7- تراعي التربية التقدمية القيم في تنمية الوجدان وتركز على المهارات العملية المختلفة.

و هذه الخصائص تمثل العملية التي يتم بها إحداث التغير في الحياة وعن طريقها يتحقق ما ينتجه التفكير الفلسفي، فهي بحق محك اختبار الأفكار الفلسفية [1].

كما انتقد "ديوي" الطريقة التقليدية في التربية والمتمثل في التلقي من طرف الطفل أو التلميذ دون إشراكه في البحث وصياغة الدرس، وبذلك يريد أن يكون التلميذ مشاركًا وليس مستقبلاً فقط وذلك لأن مشاركته تساعد على إعداد للمستقبل، أفضل من طريقة التلقي، فالتربية مثلها مثل أي شيء حي خاضع للنمو والاستمرار ولذلك وجب تطوير المناهج بما يناسب كفاءات الطفل ومتطلبات المجتمع.

وقد أوضح "جون جاك روسو" في كتاب "أميل" كيف يمكن للطفل أن يتعلم عن الأشياء من الأشياء نفسها وليس من الكتب، ولا تزال الممارسات التي وصفها شائعة، وذلك راجع إلى حد كبير إلى تأكيد "جون ديوي" على الحياة الواقعية في غرفة الدراسة، ومن إحدى فوائد الاعتماد على الأشياء وليس على الناس لتوفير وقت الناس الآخرين وطاقتهم، كما أن الحالات الطارئة التي تكون أكثر دقة وتشكل سلوكًا أكثر نفعًا من الطوارئ التي يرتبها أناس آخرون[2].

وقد فهم "ديوي" التربية على أنها "عملية اجتماعية" يشارك بها كل فرد وفقًا لطاقاته في مسؤولية العمل على تشكيل أهداف مجتمعه وصياغة قواعده، وبالتالي فقد جعل "ديوي" من التربية لفظًا مرادفًا للديمقراطية، لا بوصفها مذهبًا معينًا في الأنظمة السياسية، بل بوصفها أسلوبًا

[1]- البار عبد الحفيظ،فلسفة التربية عند جون ديوي، مرجع سابق، ص28.

[2]- ب.ف.سكينر، تكنولوجيا السلوك الإنساني، تر: د. عبد القادر يوسف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت سلسلة عالم المعرفة، العدد 32، أغسطس 1980، ص80.

في الحياة ونظرًا لأهمية هذه الفكرة في فلسفة "ديوي" فقد أفرد لها كتابًا بأكمله هو "الديمقراطية والتربية" أصدره عام 1916 [1] .

وانتهى "ديوي" من دراسته لهذا الموضوع إلى نتيجة – نحن أحوج ما نكون إلى اتخاذها شعارًا لنا وهي:"أن التطبيق العام لمناهج العلم في كل ميدان ممكن من ميادين البحث، هو وسيلة الوحيدة القادرة على حل مشكلات الديمقراطية الصناعية" [2] .

ويعتبر"جون ديوي" أن التربية هي الأساس الذي يجب أن يقوم عليه أي إصلاح اجتماعي[3].

الديمقراطية والتربية والسياسة :

ليس من شك في أن أول حجر يوضع في بناء الديمقراطية هو التربية التي تؤدي إلى ذلك، ومن ثم كانت التربية أحد ميادينه الأساسية التي خلق فيها وابتكر، ففي عام 1899 أخرج كتابه "المدرسة والمجتمع" وكان مبدؤه الأساسي هو أن يجعل من تلاميذ المدرسة مجتمعًا صغيرًا يشبه المجتمع الكبير في حياته ونشاطه، فهيء للتلاميذ المواد الخاصة المختلفة ليصنعوا منها أشياء تتناسب مع قدراتهم وخلال هذه الصناعة يتعلمون ما يتعلق بها من علوم[4].

ثم تلا ذلك كتاب آخر في التربية أخرجه عام 1916، هو "الديمقراطية والتربية" يبين فيه أن التربية فيه أن التربية هي العملية التي تعين الجماعات الإنسانية على استمرار وجودها، لا بمجرد المحافظة على التقاليد القديمة مهما يكن نوعها بل بسرعة الموائمة بين نفسها وبين بيئتها، فتغير من نفسها بما يقتضيه تغير البيئة [5]، يقول "جون ديوي" إن معظم أنواع التعليم تبدأ من الشعور بالصعوبة،

[1]– فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص123.

[2]– المرجع نفسه، ص123.

[3]– أمين أنور الخولي، الرياضة والمجتمع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد216، ديسمبر1996، ص120.

[4]– زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص165.

[5]– المرجع نفسه، ص124.

والذي يترتب عليه التفاوت أو التعارض المعرفي بين مفاهيم الذات والأداء في العديد من المواقف، وترتبط حالات عدم الرضا عن الذات بالخبرات الانفعالية عن التناقض المعرفي، فليست كل أنواع التناقض المعرفي ضرورية لإحداث حالة عدم الرضا عن الذات ولكن فقط حالات معينة تتسم بالتركيب والتعقيد [1] .

ويوجد غالبًا لدى الفرد الدافع لمحاولة التخلص من حالة عدم الرضا عن الذات، وللقيام بذلك نجده يحاول في البداية تحديد مصدر عدم الرضا عن الذات، والتي تمثل غالبًا في القلق والصراع الداخلي، واغتراب الذات، والاغتراب عن المجتمع، واضطراب الهوية، ونظرًا لتعدد هذه المصادر غالبًا ما يجد الشخص صعوبة في تحديدها بدقة، ولذلك نجده يلجأ إلى العلاج بحثا عن إنهاء هذه الحالة والعودة إلى حالة التوازن والتوافق والرضا [2] .

فمؤسسة التربية يتعلم فيها التلاميذ الديمقراطية، لكي يصبحوا ديمقراطيين عندما يواجهوا الحياة العملية في المجتمع، ويفضل "جون ديوي" النظام الديمقراطي كنظام سياسي لأنه خاضع للتغيير على مستوى هرم السلطة وكذلك لأنه يحقق العمل المشترك، ويساهم في التقدم والتطور لحضارة وثقافة المجتمع.

لقد قبل "ديوي" الديمقراطية مخالفًا بذلك معظم الفلاسفة على الرغم من معرفته لأخطائها، إذ أن هدف النظام السياسي أن يساعد الفرد على التطور والنهوض بنفسه تطورًا تامًا، ولن تصل إلى هذا إلا إذا اشترك كل فرد على قدر وسعة في تقرر سياسة جماعته ومصيرها، والأرستقراطية والملكية أكثر مقدرة وكفاءة من الديمقراطية، ولكنها في الوقت ذاته أكثر خطورة منها[3].

إن "ديوي" لا يثق بالدولة ويفضل نظامًا متعددًا، يقوم فيه بعمل المجتمع بقدر المستطاع جمعيات طوعية اختيارية، ويرى أن في تعدد المنظمات والأحزاب والشركات والنقابات وغيرها

[1]- عبد اللطيف مُحَّد خليفة إرتقاء القيم، مرجع سابق، ص17- 198.

[2]- المرجع نفسه، ص198.

[3]- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص630.

توفيقًا بين الفردية والعمل العام المشترك، ولكن تحديد البناء السياسي لنا يتحقق إلا إذا طبقنا على مشاكلنا الاجتماعية الوسائل التجريبية والآراء التي أثبتت نجاحها في العلوم الطبيعية [1].

الأخلاق :

وقد حاول "ديوي" إدخال منهج العلوم في دراسة القيم الأخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها، وذلك من أجل تغييرها تغييرًا يتلائم مع ثقافة المجتمع وظروف الحياة الحاضرة، واتخاذ الفكر القيمي ذريعة للعمل، من أجل تحقيق أكبر قدر من النتائج التي تخدم حياة الفرد في مجتمع صناعي ديمقراطي مثل المجتمع الأمريكي في الزمن الحاضر.

ولذلك "جون ديوي" يعتبر ثالث ثلاثة عمالقة خلقوا الفلسفة البرجماتية خلقًا، وأشاعوها في أرجاء العالم بحيث لم يعد في وسع مثقف أن يتابعهم في نتائجهم متابعة القبول أو متابعة الرفض والإنكار، وهؤلاء الثلاثة هم:"بيرس"، "جيمس"، "ديوي" على أنهم وإن ذهبوا جميعًا مذهبًا واحدًا من حيث الأصول، إلا أن كلامهم قد انشعب به في اتجاه يميزه عن زميله[2].

والصفة المميزة ل"ديوي" هي محاولته استخدام منهج العلوم في التفكير في القيم الأخلاقية والسياسية والجمالية وغيرها، تفكيرًا قد ينتهي إلى تغييرها تغيرًا يناسب ظروف الحياة الحاضرة أو بعبارة أخرى، هي اتخاذه من الفكر "ذريعة" للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه في مجتمع صناعي ديمقراطي[3]، ففلسفة "جون ديوي" واقعية تعنى بالحياة وتخدم الفرد والمجتمع لذا فيجب على الفلسفة كأي شيء آخر أن تتناول في بحثها الأمور الدنيوية وتبقى على الأرض وتفوز ببقائها بإضاءة الحياة وإنارتها، إن ما يريد أن يعرفه أصحاب العقول الراجحة الجدية الذين لا يعلمون في

[1]- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص630- 631.
[2]- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، مرجع سابق، ص159.
[3]- المرجع نفسه، ص159.

الحقل الفلسفي هو ماهية التعديلات التي يمكن إدخالها على التراث الفكري والتي تحتاجها الحركات الصناعية والسياسية والعلمية[1].

فمهمة فلسفة المستقبل هي توضيح آراء الناس بالنسبة إلى الكفاح الاجتماعي والأخلاقي في الوقت الذي يعيشون فيه، وأن تكون مهمتها إنسانية ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، و"أداة" لتناول هذه المنازعات والمشاكل، ففلسفنه هي التوفيق بين العوامل المتصارعة في الحياة، إن مثل هذه الفلسفة قد تنجب للعالم أخيرًا فلاسفة جديرين بالحكم [2].

لقد صرح "ديوي" بأن مهمة العقل ليست التوصل إلى المعارف أو كشف الحقائق، إنه أداة لترقية الحياة، والتفكير وظيفة خدمة الإنسان، إنه خطة لمواجهة إشكال، وفي ففلسفتة خاصة تأكدت فيه النتائج الاجتماعية والفردية للأفعال الإنسانية باعتبارها مقياس الخير والشر، ومعيار الصواب والخطأ، إن الخير عنده هو الذي يخدم غايات الجماعة ومطالب الفرد في الجماعة [3] .

والأخلاق عنده تعتبر الفرد غاية في ذاته وليس وسيلة إلى تحقيق غاية، وباهتمامنا بكل فرد نهتم برفاهية الجماعة التي يعيش في ظلها هذا الفرد، وصالح الفرد من الناس كوحدة اجتماعية هو المقياس الأقصى للخير والشر، إن الفردية فيما يقول "ديوي" نتاج اجتماعي ولا أحد يتميز بالفردية الصادقة ما لم يكن عضوًا في الجماعة [4]، وعلم الأخلاق في رأيه ليس علمًا نظريًا مجردًا، وإنما هو جزء من الحياة متمم لها، إن "ديوي" لا تروقه الفلسفة العامة التقليدية لأنها تجعل العقل متفرجًا عاطلاً وظيفته مجرد التأمل في الحياة، ويضيق بالفلسفة الخلقية التقليدية لأنها إما أن تجعل

[1]- ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مرجع سابق، ص632.

[2]- المرجع نفسه، ص632.

[3]- توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص268- 269.

[4]- المرجع نفسه، ص269.

علم الأخلاق تحليلاً صوريًا بعيدًا عن الحياة العملية، أو ترده في آخر أمره إلى مجموعة من نتائج يعيدها علماؤه للناس وهي أبعد ما تكون عن مجرى الحياة ومعالجتها [1] .

ولا تروق "ديوي" مذاهب الأخلاقيين الذين يريدون الأخلاقية إلى إشباع رغبة شخصية أو تحقيق مصلحة فردية، وإن كان يرى القيم تظهر على الدوام متصلة برغبة أو مصلحة، إلا أن الخير عبده لا يقوم في إشباع رغبة مباشرة، ولا تكون المثل العليا أوامر قصوى، بل تصبح أداة لمواجهة موقف، أو مشروعًا لحل إشكال، إنها تزودنا بأسباب الخلاص من ورطة أو مأزق، وبذلك تحقق الخير في حياة الإنسان [2] .

وبهذا يكون "ديوي" قد انتقد الفلسفة التقليدية التأملية التي جعلت من القيم الأخلاقية كتصورات بعيدة عن الحياة العملية، ولهذا ف"ديوي" يربط الأخلاق بالواقع وبالمصلحة والرغبة وبما تحققه من نتائج ومنافع للفرد والمجتمع، وما مدى قدرتها على حل المشكلات التي يتلقاها الإنسان في حياته فصورتها لا تخدم البشر، وإنما علاقتها بالواقع هي التي تحقق ذلك .

الفن :

وقد طبق "ديوي" توجهه البرجماتي حتى في مجال الفن وربطه بالواقع، وأن جوهر وكيان الفن لا يمكن أن يأتي من فرد واحد منعزلاً وإنما لابد من تناغم بينه وبين البيئة التي يعيش فيها ويستلهم منها هذا الفن، كما أن الفن يعتبر كوسيلة تربط الإنسان عالم الخيال بعالم الواقع فيجسد الفن من الصورية ليصبح عملاً في أرض الواقع .

وفي كتابه القيم "الفن خبرة" يطبق "ديوي" منهجه في مجال الفن وعلم الجمال، فيرى أن الفن نشاط إنساني لا يختلف عن سائر الأنشطة الإنسانية الأخرى من حيث أنه لا ينفصل عن مجرى الحياة الواقعة، وما علينا إلا أن ننظر إلى نشأة الفن في أطواره الأولى لنتأكد من صدق هذا القول

[1] – توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مرجع سابق، ص269.

[2] – مذهب المنفعة العامة في الفلسفة البراجماتية، مرجع سابق، ص273- 274.

ذلك أن الخبرة الجمالية لا يمكن أن تتم داخل كيان الفرد الواحد منعزلاً عما حوله، بل هي تفاعل بينه وبين بيئته [1]، والفن هو الوسيلة الوحيدة التي تعيد لنا الحياة الموحدة المتماسكة إزاء أنفسنا وإزاء العالم، الحياة التي يجد فيها الإنسان نفسه وجودًا مليئًا كاملاً متسقًا مع الكل الذي يحتويه الحياة التي يتحد فيها المرء مع نفسه أولاً، ومع أفراد أمته في مجموع واحد ثانيًا، ومع سائر أفراد البشر في أسرة واحدة ثالثًا وأخيرًا [2] .

وقد نظر "جون ديوي" إلى التصميم الموجود في كل أشكال الفن وحالاته، إلى اعتباره بحث جوهريًا عن المعنى، وعن النظام، أي عن البنية، وعن المعقولية، بين الفوضى والعماء[3].

واكتشف معلمو الفنون الذين أيدوا "ديوي" وتبنو أفكاره أن تعبير الطفل الذاتي من خلال الفن تعبير له تفرده وخصوصيته وتكامله الخاص، وأنه يتسم بالأصالة والصدق ولا يعتمد على الأفكار التقليدية الخاصة حول التفكير المنطقي الذي يقوم على أساس الذكاء، بل يرتبط أكثر بالأفكار الجديدة الخاصة بالتفكير الإبداعي الذي يقوم على أساس الخيال [4].

وينكر "جون ديوي" الفن كتجربة، أي أن تكون هناك فروق نوعية بين ما هو إستطيقي وما هو فكري لصالح الوحدة في التجربة التي ما هي إلا حيوية عالية فهو بذلك يرى أنه لا يمكن جمع التجربة والفكر الداخلي الذي نشعر به من الداخل لأن ذلك ما هو إلا تقليد للفلسفة الألمانية المثالية التي يرى بأنه يمكن الشعور بالموضوع من داخله باستعمال التجربة [5] .

وقد كتب "جون ديوي" عن الفن من حيث هو تجربة فقال:"يتحول العقل البشري ويتشكل ببطئ مع المكتسبات التي يستخلصها من الظروف المؤثرة فيه، ومن الأشياء التي تمده بالمعرفة

[1]- فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص123.

[2]- المرجع نفسه، ص124.

[3]- شاكر عبد الحفيظ، التفضيل الجمالي، مرجع سابق، ص262.

[4]- المرجع نفسه، ص425.

[5]- رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، تر: مُحَمَّد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، بيروت، سلسلة عالم المعرفة العدد 110 ، فبراير 1987، ص290.

والسعادة، والشعور والوعي، ويتغير دائمًا وبسرعة لأنه يتكيف في حركة مستمرة مع الخبرة المستمدة من الحياة" وتستمد الخبرة والتعليم من إلتقاء الجديد بالقديم خلال الأجيال المتعاقبة [1].

الثقافة والدين :

يرى "ديوي" أن هناك "تعاون وتوافق بين الذهن واللسان في ابتكار الكلام، لأن الكلام تعبير عن الأفكار واستقبال أفكار أفكار إذا تكلم الآخرون، وقد شرح "ديوي" وظيفة الكلام في صنع الأفكار، وتناول الموضوع غيره من الفلاسفة فنشأ ما يعرف بعلم المعرفة أو الإبستمولوجيا، وهو يقوم انطلاقة الفكر بعملية وصف الكلام، أي صياغة في تنسق مفهوم للتعبير عن شيء معين يدور في الذهن[2]، "و ذهب "جون ديوي" إلى ان الثقافة هي ثمرة التفاعل بين الإنسان وبيئته، أي أنها ثمرة تحدي البيئة للإنسان ونوع استجابته لها" [3] .

إن فلسفة "جون ديوي" ومنهجه العلمي وتوجهه البرجماتي، وميوله التربوي كلها كان غرضها هو خدمة الفرد والمجتمع وذلك بربط الفكر بالواقع والنظرية بالتطبيق والعمل بالنتائج والأهداف والبحث باستخدام منهج العلوم في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والفنون الجمالية فالخبرة تأتي عن طريق التجربة التي هي السبيل إلى التطور والتقدم بالعلم والمعرفة وخدمة الفرد والمجتمع ونيل الاستقرار والسعادة والعيش في توافق وتلائم مع البيئة والطبيعة .

فالفلسفة عند "ديوي" ترسم مسارات التعليم ولا يمكن الفصل بين الفلسفة والتربية فالأول يقدم التصورات الضرورية، والثاني يمثل التطبيق العملي لتلك التصورات، إن إسهامات "ديوي" يمكن تصنيفها تحت العلوم التربوية والفلسفية والنفسية والسياسية، وإذا أردنا أن نوجز فلسفة وعقيدة

[1]- يوسف السيسي، دعوة إلى الموسيقى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 46، أكتوبر 1981، ص231.

[2]- حسين مؤنس، الحضارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 01، يناير1978، ص21.

[3]- المرجع نفسه، ص325.

"ديوي" التربوية فإن التعليم الأمثل عنده هو الذي يغرس مهارات ولا يكدس معلومات، وهو الذي يلامس متطلبات الواقع، ولا ينغمس في تقديس الماضي[1] .

وقد كتب كذلك "ديوي" عن الحرية والثقافة مبنيًا منزلة الحرية في الحضارة، ليس الإنسان فردًا منعزلاً ولكنه عضو في بيئة حضارية يتأثر بها ويؤثر فيها، وإذا كانت هذه الحضارة حية فإنها تتصف بصفات الحياة وعلى رأسها النمو، وتتقدم الحضارة حين يعمل كل فرد في المجتمع بحريته مفكرًا فيما ينبغي أن تكون عليه صورة المستقبل، متعاونًا مع غيره من الأفراد، وينشأ من احتكاك الفكر بالفكر قوة اجتماعية عظيمة تأخذ بيد المجتمع إلى الأمام" [2] .

كما نجده قد تكلم في الدين، فهو يفرق بين الدين والتدين،"فالدين عنده هو قوة علينا غير منظورة، من قبيل الغيب، وما كان كذلك فلا سبيل لنا إلى معرفته، وإنما نعرف فقط أشخاصًا متدينين، لهم تجارب دينية، ويبدو في سلوكهم مظاهر خاصة من أداء شعائر وطقوس، أكثر من ذلك، ليس لنا الحق أن نقول "الدين" في صيغة الفرد، لأن الموجود في الواقع "أديان" كثيرة مختلفة[3]، والتدين ظاهرة اجتماعية خاضعة للثقافة أو الحضارة، فكل إنسان يولد في مجتمع له دين وله طقوس وكنيسة، ولا ينضم الفرد إلى الكنيسة، ولكنه يولد وينشأ في جماعة لها وحدتها الاجتماعية ونظمها وتقاليدها، ويرمز إليها ويحتفل بها في طقوس وعبادات وعقائد تصدر عن ديانة جماعية، وأن التجربة الدينية حقيقة واقعة، وأنها تعيد للنفس الأمن والسلام، والتجربة الدينية مستمدة من ثقافة المرء ومن جملة العقائد التي تلقاها[4].

[1]- مقال لعبير توفيق، تحت عنوان: طريقة جون ديوي في التعلم، الموقع: المنتديات التربوية والتعلمية، بتاريخ 05-05-2014. الساعة:03:13، www.amal-alkahtani.com

[2]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص138.

[3]- المرجع نفسه، ص139- 140.

[4]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص140.

المبحث الثاني: النقد (رؤية موضوعية وأخرى شخصية)

إن مما يعاب على "جون ديوي" هو أنه قد أخذ من فلاسفة قبله وأخذ عنهم ما يخدم توجهاته البرجماتية، ومثال ذلك تأثره ب "داروين" القائم بنظرية التطور ولهذا نجد "جون ديوي" دائمًا يؤكد على التغير والنمو لكل شيء في الحياة وأنه قابل للتقدم والتطور .

مما لا شك فيه بأن "ديوي" قد تأثر بهذه النظرية التطورية "لداروين"، حيث طبق بعض مبادئ هذه النظرية في مجال الفكر والمنطق فذهب إلى أن الفكرة لا تكون صادقة إلا إذا ساعدتنا على التوصل إلى النتيجة التي نرجوها، ولا تكون القضية صادقة إلا إذا عانتنا على التقدم من البحث حتى نصل إلى حل الإشكال الذي نبحث له عن حل"[1]، فيظهر جليًا تأثر "ديوي" بهذه النظرية التطورية تلك التي رفضت تفتيت الكائنات إلى أنواع مستقلة، يقوم كل نوع بمفرده متميزًا عن غيره بخصائص ونظرت إلى الكائنات الحية على أنها متدرجة يصعب وضع الحدود الدقيقة بين أنواعها، وبذلك تظل الحياة في تدرج، لا فواصل فيها، ولا تقسيمات، ونحن هنا نجد صورة من فلسفة التطور مطبقة عند "جون ديوي" في مجال المنطق [2].

وقد كان تأثر "ديوي" بنظرية التطور على يد "دارون" إذ أن هذه النظرية فسرت تطور الأنواع الحية وتنوع صفاتها بمضي الزمن تفسيرًا آليًا بحتًا، لا دخل فيه إلا للعوامل الطبيعية الخاصة بالتكيف مع الطبيعية، وكان معنى ذلك أن مبدأ الآلية لا يسري على الظواهر الطبيعية فحسب، بل ينطبق على الأحياء بدورهم، حتى وصل الحد إلى الاعتقاد بأن العلم الدقيق هو الشكل الوحيد الذي ينبض للإنسان أن يعترف به من بين سائر أشكال المعرفة [3]، وبأن الحقيقة في جميع مجالاتها يستوي في ذلك أعماق الإنسان الباطنة وأطراف الكون الخارجية، لا تتكشف إلا عن طريق منهج

[1]- مُحَمَّد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص52- 53.

[2]- المرجع نفسه، ص70- 71.

[3]- فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 03، مارس 1978، ص146- 147.

تجريبي وإذا لم تكن هذه النزعة العلمية المتطرفة قد تجاهلت أنواع المعرفة التي يقدمها إلينا الفن والشعر أو الأداب أو الاستبصار الأخلاقي، فإنها كانت تدعو إلى قيام هذه الأنواع على أسس تجريبية، وبنائها على وقائع تخضع للملاحظة والتحقيق التجريبي [1] .

أن البرجماتية فلسفة أمريكية خالصة فهي تنطبق عليها دون غيرها من الدول نظرًا لإختلاف بنية كل بيئة ورغم أنه قد أصبح من المسلم به ضرورة ربط الفلسفة بالبنية الاجتماعية للفلاسفة موضوع الدراسة، فإن "ديوي" أحد زعماء البرجماتية لم يعجبه ما قام به "برتراند راسل" وهو يبرز الصلة الواضحة بين البرجماتية والبيئة الأمريكية، فرد عليه قائلاً: إن عادة "راسل" المؤكدة في ربط النظرية البرجماتية في المعرفة بالجوانب الذميمة للنزعة الصناعية الأمريكية هي أشبه بما لو كنت ربطت فلسفته باهتماماته الأرستقراطية الإنجليزية من ملاك الأراضي [2] .

ولم يكن "راسل" وحده في التفسير الذي ذهب إليه، ف "سنتيانا" مثلاً يقول: في "ديوي" كما في العلم والأخلاق ثمة ميل منتشر هيجلي إلى درجة ما، لتفكيك الفرد إلى وظائفه الاجتماعية مثلما يفككون كل شيء جوهري وواقعي إلى شيء ما نسبي انتقالي [3].

وكذلك تتجلى طبيعة الأصول الاجتماعية للبيئة الأمريكية في وصف "راسل" لفلسفة "ديوي" بقوله: فلسفته هي فلسفة القدرة، وإن لم تكن كفلسفة "نيتشه"، فلسفة القدرة الفردية، فإننا نحس فيها بقيمة قدرة الجماعة، هذا العنصر لقدرة الجماعة هو الذي يجعل فلسفة "الأداتية"– البرجماتية– فلسفة جذابة للذين يتأثرون بسيطرتنا على القوى الطبيعية بدرجة أكبر من تأثرهم بالقيود التي ما برحت هذه السيطرة تتعرض لها [4]، ولذلك يقول "وليم جيمس":"إن الفلسفة العملية تتفق مع المذهب الاسمي في أنها تتعلق دائمًا بالجزئي، ومع المذهب النفعي في أنها تؤكد

[1]– فؤاد زكريا، التفكير العلمي، مرجع سابق، ص147.
[2]– سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، مرجع سابق، ص43- 44.
[3]– المرجع نفسه، ص44.
[4]– المرجع نفسه، ص44.

دائمًا قيمة الجانب العملي، ومع المذهب الوضعي في أنها تحتقر دائمًا سائد الحلول اللفظية الخالصة والمسائل غير مجدية والتجريدات الميتافيزيقية [1] .

وبذلك فمنهج "ديوي" في التربية لا يخدم جميع الدول خاصة العالم العربي الذي عند ثقافة إسلامية، فإن عمال فكر "جون ديوي" البرجماتي في التربية الذي يدعو إلى العمل وعدم الاهتمام بالثقافة الاجتماعية وإنما على حسب العمل والنتائج التي تحققها باعتبارها قابلة للتغير والتطور وهذا ما لا يخدم المجتمع الإسلامي وثقافته الأصيلة .

ويحق لنا الآن أن نتساءل: هل كتبت علينا ظروف المعاش والحياة ألا نسعى إلى العلم والمعرفة من أجل العلم والمعرفة في ذاتهما وإنما من أجل أي شيء آخر، فهل اخترعنا العدد من أجل تقدير أرغفة الخبز وتعلمنا الهندسة من أجل مساحة الأرض وبناء الأهرامات وعرفنا خصائص الطبيعة من أجل مواجهة ظروفنا المعيشية البحتة ؟ [2].

أما عن المفكرين العرب فهم يقومون بعملهم في أمانة بالغة حتى ليصعب القول بأنهم يخطئون هدفهم البراجماتيكي وإن حادوا حيادًا شاسعًا عن الموقف الأكاديمي البحت [3].

كما يعتبر "ديوي" من رواد المذهب التلفيقي أو الفلسفة الشخصانية: "وهي الفلسفة التي تحاول التلفيق بين الفردانية والجماعية، وذلك بالدعوة إلى الفردية، إلى القول بأن الحقيقة شخصية، وأن الفرد هو صانع القيم والأخلاق، وفي نفس الوقت يدعون الفرد إلى الاتصال بالآخرين والانفتاح عليهم، وذلك عن طريق الحقائق الفردية المشتركة والتي تمثل الوعي الجماعي والذي لابد من الخضوع له، وهنا دعوة إلى الجماعية أو ما يسميه "ديوي" النظام الديمقراطي "[4].

[1]- عبد الوهاب جعفر، مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، مرجع سابق، ص483.

[2]- عبد الفتاح الديدي، الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، سنة 1985، ص306.

[3]- المرجع نفسه، ص306.

[4]- أبو زيد محمد المكي القبي، ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية، مرجع سابق، ص664.

كما نجد أن مذهب "ديوي" متناقضًا مع نفسه، ففي الوقت الذي ينادي بوضع أهداف تربوية متمركزة حول إعداد الفرد، وجعل التلميذ سيد نفسه، ويضع أهدافا متمركزة حول المصالح الاقتصادية ويطالب بتربية المطالب على الخضوع والانقياد لمتطلبات العمل في المؤسسات الصناعية، ففي الوقت الذي يدعو فيه تربية الطالب على التأمل والتفكر، يربيه على الخضوع والإذعان للسلطة ولأصحاب العمل [1]، ولذلك فقد احتار المربون الأمريكيون في هذه المشكلة فمنهم من تجاهل هذا التناقض، ومنهم من يرى الحل لذلك أنه بانفصال أهداف تربية الفرد عن أهداف المجتمع الصناعي فيربى الفرد على أن يكون حرًا في حياته، فتوضع المناهج المنمية لذلك وفي الوقت ذاته يربى على الخضوع لأهداف الأمة الاقتصادية وتوضع مناهج من أجل تنمية ذلك، ومع قولهم بأنه حل وسط إلا أنهم يعترفون بأنه لم يرأب الصداع القائم بين النوعين من أنواع التربية[2].

وكذلك مذهب "ديوي" ينتهي إلى خدمة المذهب الاقتصادي الرأسمالي فهو في حقيقته تربية ترويضية للناشئة على تقبل النظام الاقتصادي القائم، وتنفيذ سياساته، والدفاع عنه، وعدم الانتباه لنقائصه لأنه صادر عن العقل الاجتماعي، فهو صادر عن حرية الفرد، ولذلك تؤخذ المناهج والنظريات التي تدرس للطلاب عن طريق أصحاب العمل[3].

فكل ما أراده "جون ديوي" هو تحقيق الذرائعية التي يطمح إليها في شتى المجلات والتي هي تخدم النظام الاقتصادي الرأسمالي أكثر من أي نظام آخر، وبذلك يكون النفع والنتائج لصالح أرض البرجماتية – أمريكا – وهو ما نشاهده في واقعنا اليوم وكيف تسيطر أمريكا على ثقافة وفكر المجتمعات والدول وفرض فكرة العمل والمصلحة ولو على حساب الأخلاق والدين.

[1]- أبو زيد مُحَمَّد المكي القبي، ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية، مرجع سابق ، ص666.
[2]- المرجع نفسه، ص666- 667.
[3]- المرجع نفسه، ص667.

إن الواقعية تتضمن مفهوم الحقيقة، فيسعى العلم لصوغ أوصاف "حقيقية" لما هو العالم واقعيًا فالنظرية التي تصف على نحوٍ صحيح جانبًا من العالم وتصرفه هي صحيحة، والنظرية التي تصف وصفًا غير صحيح أحد جوانب العالم هي مغلوطة، وطبقًا للواقعية، بالمعنى الذي نفهمه على العموم فإن العالم الموجود بمعزل عن حضورنا بوصفنا حاملي المعرفة، وشكل وجوده مستقل عن المعرفة النظرية التي بحوزتنا عن هذا العالم، والنظريات الصحيحة تصف بدقة هذا الواقع [1] .

وفكرة كون العلم يستهدف الحقيقة في توصيفه للواقع، كثيرًا ما تستخدم كحجة ضد النسبية "بوبر" مثلاً، يستخدم الحقيقة في هذا المنحنى، عندئذٍ يمكن للنظرية أن تكون صحيحة حتى لو أن أحدًا لا يؤمن بها، ويمكن أن تكون مغلوطة حتى لو أن الكل يؤمن بها، فالنظريات الصحيحة، إذا كانت حقًا كذلك، ليست صحيحة بالنسبة لمعتقدات الأفراد أو الفئات، إن صحتها التي تفهم على أنها تخصيص حقيقي للواقع، هي حقيقة موضوعية في نظر واقعيين أمثال "بوبر" [2] .

ولهذا فقد حاول "بوبر" أن يعطي معنى للتقريب المتجه نحو الحقيقة، وهو ما أطلق عليه الشبه بالحقيقة، وذلك بالاعتماد على النتائج الصادقة والكاذبة لنظرية ما، ولذلك فإنه بوسعنا أن نقول إن شبه الحقيقة في نظرية ما هو شيء كهذا: مقدار محتواها من الحقيقة مطروحًا منه مقدار محتواها من الكذب. وعلى ذلك يمكننا الآن إعادة صياغة التأكيد بالعبارات التالية: "كلما تقدم علم ما شيئًا فشيئًا، ازداد ازديادا منتظمًا ما في نظرياته من شبه الحقيقة [3] .

[1]- الان.ف.شالمرز، ما هو العلم ؟، تر: لطيفة ديب عرنوق، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، سنة 1997 ص200.

[2]- المرجع نفسه، ص201.

[3]- الان شالمز،نظريات العلم، تر:الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار توقبال للنشر،دار البيضاء، المغرب، ط1، 1991ص158.

الغرض من الفلسفة تكوين ملكة تهيئ للفيلسوف أن يعيش حتى لو فرض وألغيت كل الشرائع كما كان يعيش وهي قائمة، وأن الفضيلة هي فن إسعاد الذات بالعمل على إسعاد الغير[1].

إن النظريات النفعية الصادرة عن رؤية إختبارية وذرائعية عن الأخلاق هي أغراض تصادم بين الليبرالية الاقتصادية وفلسفة القيم، وينتج هذا الوضع أن اللذة والألم لا يقاسان بالإرضاء الناجم عنهما، بل أيضًا بفائدتهما، أي بطراز تقابلهما، وبالمنافع المتوخاة، ولذا فإن "النافع" يبدو وكأنه الدرب الأفضل لبلوغ السار، وبكلمة واحدة يبدو بمثابة "مرجع" كل تقويم [2].

أحقًا إن البحث العلمي هو أنبل مساعي العقل البشري، ومن معينه ينبع تيار لا ينقطع أبدًا من الاكتشافات الخيرة، أم إنه مكنسة ساحرة تهددنا جميعًا بالفناء؟ وهل أفسد العلم جودة الحياة؟[3]، إن إجابتنا عن السؤال "ما الحقيقة" تتلخص فيما يلي:" لا يعد الاعتقاد أو التقرير صحيحًا إلا إذا تعلق بوضع محتمل مفاده أن هذا الوضع موجود وما لم يكن هذا الوضع موجودًا بالفعل، كما لا يعد الاعتقاد أو التقرير باطلاً إلا إذا تعلق بوضع محتمل مفاده أنه موجود، وما لم يكن الوضع غير موجود بالفعل، وأخيرًا فإن الحق وضع محتمل الوجود" [4].

ولهذا تعتبر الذرائعية والنفعية صياغتين في طبيعة الاعتقاد، ولكن إذا صح ما تذهب غليه هذه النظرية فإن صدق الاعتقاد يعد نوعًا من الترضية (المكافأة) وبطلانه نوعًا من عدم الترضية، أن تعتقد فيما تقرر هذه النظرية هو أن تكون مهيأ هو أن تكون راضيًا في حال حدوث ذلك الشيء

[1]- إسماعيل مظهر، فلسفة اللذة والألم، مطبعة حجازي بالقاهرة، سنة 1936، ص11.

[2]- جان.بول.رزقبر، فلسفة القيم، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2001، ص78.

[3]- ماكس بيروني، ضرورة العلم، تر: وائل أتاس وبسام معصراني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، موسوعة عالم المعرفة، العدد 245، ماي 1999، ص09.

[4]- رودرك.م. تشيزهولم، نظرية المعرفة، تر: نجيب الحصادي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، كندا، ص142.

وغير راضٍ في حال عدم حدوثه، ولأن الاعتقاد في حدوث شيء لا يكون صحيحًا إلا إذا حدث بالفعل فإن الاعتقاد لا يضفي إلى الترضية إلا في حال صدقه [1] .

ولهذا فإنه ليس هناك معنى واضح يمكن على أساسه تقرير أن الحق يتكون من الترضية وأن الباطل يتعلق بعدم الترضية" [2]، فما يرضيني قد لا يرضي غيري وما أراه حقًا قد يراه غيري باطلاً ويختلف ذلك باختلاف اعتقاد كل فرد "و يتساءل المرء ترى أين تكمن الحقيقة ؟ أم لعل الأمر لا يعدوا كونه أحد التناقضات الإنسانية... فالناس ليسو نتاج قالب واحد، ولا تقتصر الفروق بينهم على الشكل وصفاته بل تتعدى ذلك إلى القدرات والإمكانات الجسمية والعقلية، وليس عسيرًا أن نستنج أن الناس غير متساوين، فكل إنسان كيان حي قائم بذاته يختلف حتى عن أخيه اختلافات بينة لها أثر على ما يمكن أن يحققه من إنجازات في حياته" [3].

كما يلاحظ أن مدى تقبل العامة لأي مذهب فلسفي لا يمكن لمسه إلا بعد انقضاء وقت طويل على ظهور ذلك المذهب وازدهاره لدى الأوساط الفلسفية المتخصصة، بل إننا نجد أن المذهب الذي يلاقى في الأوساط الفلسفية المتخصصة ازدهارا منذ ظهوره لا يقدر له التمتع في أوساط عامة الناس إلا بعد مضي قرن أو نصف قرن من الزمان على ظهوره [4].

ويلاحظ أيضًا أن عامة الناس أقل بكثير من الفلاسفة في درجة مقاومتهم للإغراء الذي قد ينطوي عليه مذهب ما من المذاهب الفلسفية، وهو الإغراء الذي قد يتمثل عادة في مدى السلطة ذلك المذهب وكيفية صياغته لغويًا، وكذلك بمدى ضخامة الجهاز الدعائي الذي تشرف على بثها

[1]- رودرك.م.تشيزهولم، نظرية المعرفة، مرجع سابق، ص150.

[2]- المرجع نفسه، ص151.

[3]- زهير الكرمي، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، العدد05، ماي 1978، ص12.

[4]- علي عبد المعطي مُحَمَّد، أعلام الفلسفة الحديثة-ج2، ط. دار المعرفة الجامعية، مصر، سنة 1997، ص245.

بين الناس، أما الفلاسفة أنفسهم فإنهم يعتبرون عمومًا أقل التفاتا أو تأثرًا بهذا الضرب من ضروب الترويج للأفكار الفلسفية [1] .

ويعتبر "جون ديوي" من الفلاسفة البرجماتيين الذين سخروا بالميتافيزيقا، حتى لقد رددوا أقوال خصومها الذين كانوا يزعمون أن: "الفيلسوف الميتافيزيقي أشبه ما يكون برجل أعمى يبحث في حجرة مظلمة عن قبعة سوداء لا وجود لها"، وليس من شك (فيما يرى ديوي) أن عالم الطبيعة محق حين يبحث عن القوانين العامة للحركة، ولكن من المؤكد أن الميتافيزيقي ليس على حق حينما يبحث عن الحركة بصفة عامة [2]، فالفيلسوف الميتافيزيقي يثير كثيرًا من المشكلات العقيمة التي لا يقبل الحل، و"ديوي" لا يقتصر على القول مع الوضعيين بأن مثل هذه المشكلات هي أشباه مشكلات، بل هو يذهب إلى حد أبعد من ذلك فيقول إنها صيغ مرضية، ولا سبيل إلى التخلص من أمثال هذه المشكلات (في رأي ديوي) إلا بالرجوع إلى الميول الأصلية التي عملت على نشأتها[3].

وأن الميتافيزيقا التي قد كتب فيها الفلاسفة عبر تاريخ البشرية وتاريخ العلم فإن "جون ديوي" قد رفضها بجرة قلم، فهو لا يؤمن إلا بعالم الواقع وأن الفكر الميتافيزيقي هو ما جعل الأمم متخلفة في ذيل الحضارات، وبهذا يكون قد أهمل جانبًا مهمًا من مباحث الفلسفة ونظرية المعرفة يرفضه للميتافيزيقا (ما وراء العالم- أو الطبيعة- أو الواقع) فوجودها موجود كوجود الأحلام أثناء النوم ولكن لا هذا أمر لا يمكن قبوله كلية ولا رفضه كلية، وإنما يجب الحث عن الحقيقة مهما كانت سواء من عالم الميتافيزيقا أو من عالم الواقع "فديوي" يرى بأن الأشياء الحقيقية هي الأشياء الملموسة ولهذا نسي أن وجود الله هو وجود حقيقي ولكن غير ملموس، وكذلك الألم الأحلام، والأفكار والسعادة والحزن، والحب والكره...

[1]- علي عبد المعطي مُحَمَّد، أعلام الفلسفة الحديثة، ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، سنة1997، ص246.

[2]- زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، دار مصر للطباعة، سنة 1971، ص54- 55.

[3]- المرجع نفسه، ص55.

وفي هذا الصدد نجد أن مذهب المنفعة "لبنتام" إنما كان نقطة الانطلاق لنظريات أخرى أثبتت في النهاية أنها أقوى منه تأثير بكثير [1]، والتي من بينها البرجماتية، وعلى وجه الخصوص فلسفة "جون ديوي" .

إن الواقع اليوم يدل على أن السياسة الأمريكية هي سياسة أنانية وذاتية، فإنه بالرغم من قول "آدم سميث":"إن المنفعة الخاصة تعادل المنفعة الاجتماعية، إلا أنه قد بدا لفترة ما أن الثورة الجديدة التي خلقتها الآلات، ستلبي احتياجات المجتمع بأسره، ولكنها لم تفعل كما اتضح فيما بعد، لكن الأمر الأكثر أهمية هو أننا وصلنا الآن إلى النقطة التي يجب علينا أن نعيد النظر في الموارد المتاحة"[2].

فالبرجماتية قد غيرت الكثير من المفاهيم عندما اندمجت بالسياسة والاقتصاد، اللذان قد فصلا ثياب البرجماتية على قدر مصالحها وحاجياتها لها، فهي لم تحقق السعادة والعدل كما تدعي بل جعلت الفرد يربح والمجتمع يتحمل التكاليف وذلك في ظل نظام المنفعة ملازمة للحقيقة، فالحق ما فيه نفع والباطل ما ليس فيه نفع .

إن القضايا الاجتماعية والاقتصادية تعكس تعارضًا قديمًا ومعروفًا بين القيم الدينية الثابتة والتغيرات الدنيوية، هناك في عصرنا قضايا جديدة تمامًا صارت تثير نقاشًا واسعًا ليس بين "رجال الدين" وآخرين، وبل وفي مختلف الأوساط تقريبًا، يتعلق الأمر هذه المرة بظاهرة جديدة في تاريخ الفكر البشري تعبر عن تعارض بين نوعين من طريقة التفكير والنظر في الأشياء وتقييمها [3] .

طريقة يمكن وصفها بأنها صادرة عن "العقل الموضوعي" المعياري وطريقة أخرى يمكن وصفها بأنها بأنها تجسد "العقل الأداتي" البرجماتي الوضعي، إن تقدم العلم من شانه أن يؤدي إلى نتائج

[1]- برتراند رسل، حكمة الغرب، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، مصدر سابق، ص227.

[2]- كاقين رايلي، الغرب والعالم، تر: عبد الوهاب محمد المسيري وهدى عبد السميع حجازي، مر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت، ص329.

[3]- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، يونيو 1997، ص36.

تتعارض مع طول الخط مع القيم الأخلاقية التي تكرست منذ فجر التاريخ البشري، وفي جميع المجتمعات، ولدى مختلف الأديان والفلسفات، بوصفها عنصرًا جوهريًا في إنسانية الإنسان، إن لم يكن العنصر الجوهري الوحيد فيها [1]، فلهذا نجد أن لبرجماتية "ديوي" قد عبثت بالقيم الأخلاقية حينما ربطت الخير والشر بالمنفعة، ولذلك "يعيش العالم اليوم وضعية جديدة تمامًا، وتتمثل في التحدي المتزايد الذي يسببه العلم وتطبيقاته للأخلاق وضمير الأخلاق، والتي أثار ويثير ردود فعل تطالب بإخضاع العلم ومنتجاته للقيم والمعايير الأخلاقية، فإذا كان العلم يرجع إلى الفهم، أي إلى التجربة والعقل معًا، ومجاله المعرفة، فإن الأخلاق ترجع إلى الإرادة، ومجالها السلوك، وما يميز السلوك الأخلاقي هو أنه يصدر عن "الإرادة الصالحة" التي ترجع عند نهاية التحليل إلى فكرة الواجب" [2] .

إن الذرائعية اندثرت كحركة فردية، ولكنها كمجموعة أفكار مازالت تعمل في الفكر البشري وقد رأينا في واقعنا المعاصر كيف أفلست الذراعية كما أفلست سواها من الفلسفات المادية وعجزت عن إسعاد الإنسان بعدما أدت على تأرجح الاسعار المادية، وأهدرت القيم والأخلاق السامية التي دعت إليها جميع الأديان السماوية [3] .

وفي ذلك يقول "جون تشايلدز": الحركة التي تعرف في الفلسفة باسم "البرجماتية" و"الأداتية" و"التجريبية" هي في الواقع تعبير عن الثقافة الأمريكية، وأبرز ملامحها صفتها التجريبية، فهي تقبل الخبرة الإنسانية العادية منبعًا نهائيًا وامتحانا أخيرًا لكل معرفة وقيمة "فهي ثمرة تفاعل بين الأفكار التي حملها المهاجرون الأوروبيون إلى أمريكا، وبين البيئة الجديدة التي نشؤا فيها [4].

[1]- المرجع نفسه، ص36.

[2]- المرجع نفسه، ص 38- 39.

[3]- مقال تحت عنوان: الذرائعية (البراجماتية)، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موقع صيد الفوائد www.saaid.net

[4]- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، مرجع سابق، ص82.

إن ظهور الفلسفة الذرائعية "البرجماتية" (المذهب العملي) في الولايات المتحدة هي فلسفة تتماشى والنمط الأمريكي في الحياة، وصورت هذه الفلسفة البحث عن الحقيقة بأنها عملية تجريبية مستمرة لاكتشاف ما هو ناجح منها [1]، ولذلك فإن هذه الفلسفة قد تصلح في مجتمع دون مجتمع فليست كل المجتمعات تعيش النمط الأمريكي وتشغل نفس تفكيره، وتوجهات وأهدافه، فهناك مجتمعات لا يصلح لها البرجماتية لأن لكل مجتمع ثقافته والبيئة التي يتعايش معها تأثيرًا وتأثرًا.

ونظرًا لسيطرة الفكر التربوي البراجماتي غلى كثير من الاتجاهات التربوية في العالم العربي، كان لابد أيضًا من أن يحظى بالنقد والهجوم، فمن ذلك ما عرضه الدكتور رشدي لبيب من أفكار "لجون ديوي" ليخلص إلى عدائها لتقدم البلاد العربية وعدم صلاحيتها لنا [2].

وذلك لأن في العالم العربي مرجعية دينية لثقافته والبرجماتية تقدم المنفعة على الدين وهذا ما يخل بالمناهج التربوية العربية التي تصبو إلى بناء أجيال تحمل ثقافة إسلامية بدءًا من تعليم الطفل الأخلاق وتعاليم الدين ودوره في الأسرة والمجتمع، فالدول العربية ليست أمريكا حتى نطبق عليها ثقافة مجتمع نختلف معه في الثقافة والبيئة والدين، وبنية تركيبة المجتمع، ولهذا فإن البرجماتية تصلح للمجتمع الأمريكي دون غيره من المجتمعات خاصة في مجال التربية التي لها دور كبير في تربية أجيال الأمة وصناعة مستقبلهم .

وكذلك يرى الدكتور شبل بدران في المدارس الأجنبية، أن التخلف والتبعية للقوى الاجتماعية السائدة في البلدان التابعة يحملان في طياتها تخلف هذه القوى الاجتماعية السائدة عن أداء دورها

[1]- دينيس لويد، فكرة القانون،تر:سليم الصويص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، العدد47، نوفمبر1981، ص196.

[2]- سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، العدد111، ماي 1987ص296.

التاريخي، لأنها لم تعد قادرة على أداء دورها التاريخي المناط بها، وتبعيتها التعليمية والتربوية، فكما أنها تستورد في ذات الوقت أدوات المعرفة [1] .

وبذلك يؤدي هذا التعليم الأجنبي (اللغات) خدماته لأبناء الطبقة الحاكمة والميسورة، ويشكل أداة شرعية لخلق الازدواج الثقافي والتمايز الاجتماعي والاستقطاب الطبقي داخل المجتمع، ومن هنا تنقلب الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية عن طريق التعليم الأجنبي إلى إستحقاقية ثقافية حاملها إلى المراكز الحساسة والهامة في الدولة، هادفة في النهاية إلى إبقاء العلاقات الاجتماعية غير المتكافئة على ما هي عليه تكريمًا لخدمة الصفوة في المجتمع التابع لها، وتواصلاً مع أهداف المجتمع الرأسمالي"[2]، والفكر البراجماتي الذي يريد أن يسيطر على العالم ويجعله متأثر بثقافة أمريكا من أجل إحكام سيطرتها على العالم أكثر .

كما أنه ليس ثمة سوى مسافة قصيرة بين تأثير الوجودية في علم النفس وتأثيرها في ميدان التربية التي نادى بها "جون ديوي" أي أن التربية بأوسع معانيها هي العمل على إظهار إمكانات الشخص وكلمة "الوجود البشري" تعني الخروج أو الانطلاق نحو إمكانات المرء، فالتربية لا تعني اقل من أن نترك المرء "يوجد"، أي يخرج عن حالته الراهنة ويعلو عليها إلى المجال الوجودي الذي يصبح فريد فيما هو، أعني شخصًا فريدًا " [3]، أي أن التربية تركز على الفرد وتريد منه أن يكون كاملاً وأن يركز على نفسه ومنفعتها أكثر من غيرها عن طريق العمل والتربية "والحق أن الاهتمام بترك الفرد يوجد في فرديته ليس أمرًا جديدًا، فإن نظرة منهج التوليد عند سقراط إلى التربية كانت تحمل سمات وجودية ولقد كانت هناك في الأزمنة الحديثة كذلك فلسفات تربوية تجنبت النزعة التسلطية وتبنت مواقف "متساهلة" بدرجات متفاوتة، تسمح للطالب أن يكون ذاته، ولكن

[1]- سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث مرجع سابق، ص297- 298.

[2]- المرجع نفسه، ص297- 298.

[3]- جون ماكوري، الوجودية، تر: د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، العدد 58، أكتوبر 1982، ص282.

يصعب القول بأن تصور الإنسان الكامن خلف هذه المواقف كان تصورًا وجوديًا، بل إنها في الواقع تتراوح ما بين النزعة اللاعقلية عند "رودلف شيتنز" إلى النزعة الطبيعية عند "جون ديوي" [1].

وبهذا فإن منهج التربية الذي جاء به"ديوي" ليس جديدًا أنتجه صاحبه، وإنما هي عبارة عن امتزاج العديد من الفلسفات القديمة والمذاهب المتنوعة، وعمل "ديوي" كان بمثابة الجمع لما سبقه فيما يخص مجال التربية، وبما يلائم توجهه البرجماتي، وكذلك بما يتلائم مع المجتمع والثقافة الأمريكية،كما يلاحظ "ديوي" أنه يحاول في كثير من الأحيان تجنب استخدام لفظي "الحق" و"الباطل" أو "الصدق" و"الكذب"، وكأنما هو يخشى التورط في أية مناقشات ميتافيزيقية حول طبيعة العلاقة بين "الفكر" و"الواقع" أو بين "الذات" و"الموضوع"، فلسفته هي فلسفة تقابلية فالحق عنده وثيق الصلة بالتقابل بين المفتاح والقفل، "بين الإشكال والحل"، أو بين السؤال والجواب، وبذلك يكون "ديوي" قد جعل من الحق وظيفة إجرائية ترتبط بالموقف الذي لابد من مواجهته لحل الإشكال [2]، وبهذا يكون "جون ديوي" قد خل بمفاهيم أساسية في فلسفة العلوم خاصة علم المنطق عندما تحفظ عن استخدام لفظي"الصدق" و"الكذب" وقد رد عليه "راسل" في هذا الشأن لأنه أخل بمفاهيم علمية تخص العلم وكذا الفكر البشري.

ولما كانت "الفكرة" "وسيلة" أو "أداة" تعالج موقفا خارجيا، فإن صدق الأفكار لابد من أن يكون هو"التطبيق" أو العمل، وهنا يستشهد "ديوي" بعبارة مأثورة من عبارات الإنجيل، فيقول:"من ثمارهم عرفوهم" بمعنى:أن "الآثار" العملية هي المحك الأوحد لقياس قيمة "الأفكار"النظرية، وهذه العبارة قد أدت بالكثير من النقاد إلى تقريب ديوي من ماركس [3].

وذلك أن "ماركس" في المادية الجدلية قد ذهب إلى أن "الحق" بمعنى واقعية الفكر وقوته، لابد من أن يوضع موضع البرهنة في مضمار العمل أو التطبيق، وليس من شكٍ أن "ديوي" قد ربط

[1]- جون ماكوري، الوجودية مرجع سابق، ص282.

[2]- زكريا ابراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص69.

[3]- زكريا ابراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص69- 70.

الحق بالعمل أو التطبيق، وإن كان الحق عنده ظل يشير إلى مجموعة الشروط أو الظروف التي تميز ما هو "حل" عن ما هو "إشكال"، ومن ثمة بقي "الحق" بمثابة مجموعة شروط العمليات التي تحيل الموقف المشكل إلى موقف غي مشكل [1] .

وبهذا فإن "ديوي" قد ربط الحق بالعمل والتطبيق كما فعل "ماركس" في ماديته الجدلية الذي ربط الفكر بالواقع، وبذلك يكون قد اهتم بالعمل والتطبيق على حساب الفكر والواقع .

وبهذا تكون البرجماتية تعبر عن الفكر الأمريكي الأناني، فهي كمذهب قد تلاشت ولكنها قد بقيت كفكر يعمل به المجتمع الأمريكي وكذا السياسة والدولة الأمريكية من أجل قضاء مصالحها من الشعوب وقد ارتبط بهذا الفكر الكثير من المشاكل العالمية بالأزمات الاقتصادية والديون والحروب، فهي ليست إيجابية كلها ولا يمكنها أن تكون نموذجًا يصلح لخدمة الفرد والمجتمع نظرًا لتقديم مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع وإن كانت تدعي عكس ذلك ولكن الواقع أكد هذا وبهذا فإن أحسن نظام وأروع فكر يمكن أن يتحقق العدالة والسعادة للبشرية هو النظام الإسلامي لأنه فكر وسطي يأخذ من الغني ليعطي للفقير وهذا لا يوجد في أي نظام آخر عبر تاريخ البشرية كما أنه يساهم في إصلاح الفرد والمجتمع وحسن التربية وإعداده للمستقبل.

[1]- المرجع نفسه ، ص70.

خاتمة

خاتمة:

وعلى ضوء ما تم عرضه في هذه المذكرة نستنتج أن "جون ديوي" شخصية فلسفية تربوية بارزة قد خدمت الفكر والفلسفة وخاصة المجتمع الأمريكي الذي يؤمن بالعمل والتطور، فجون ديوي قد أعلى من شأن العقل والمعرفة والتواصل الفكري، فهو يرى بأن معظم القيم الأخلاقية والميتافيزيقية والدينية التي دخلت في تكوين تراث الإنسان الحديث إنما هي في أصلها قيم عرفانية انحدرت من العلم والبحث والذكاء، ولهذا كانت أفكاره هامة في التربية ونظرياته عميقة في الديمقراطية وتأملات عديدة في السياسة، فقد ربط "ديوي" النظر بالعمل، وتوثيق الصلة بين العلم والتطبيق وإبراز علاقات التبادل القائمة بين الذوات، وتأكيد تفاعل الكائن الحي مع بيئته، وأن الخبرة هي علمية وعملية ذات طبيعة اجتماعية حيث تمتد جذورها في صميم التجربة البشرية.

وأن البحث هو الذي هيأ للبشر فرصة التلاقي والمشاركة، وعمل على تزايد أسباب التواصل الفكري بين الناس وهذا الفكر الفلسفي المتنوع جعل من "جون ديوي" فيلسوفًا معاصرًا مازالت له قيمة في عالمه الفكري الراهن خاصة في مجال التربوي الذي تألق فيه كثيرًا حيث أخذت به العديد من الدول.

وقد أكد "ديوي" على أهمية الفلسفة في الحياة وأن عليها إعادة بناء نفسها بأن تكون واقعية وذلك بأن تصبح عملية أو تطبيقية كما ذهب إلى القول بأن الفعل البشري لا يمكن أن يفهم إلا في سياقه الاجتماعية لأن الفرد مرتبط بمجتمعه وبيئته، وأنه لا يمكن التفريق بين السياسة والأخلاق ولا بين التربية والديمقراطية، لأن كل ذلك هو عملية اجتماعية يشارك فيها الأفراد وفق طاقات كل فرد وقدراته وذلك من خلال مسؤولية العمل في تشكيل أهداف مجتمعه وصياغة قواعده، ولهذا فالديمقراطية ليست نظام مستقلاً من الأنظمة السياسية بل هي أسلوب في الحياة أو هي على الأصل الطريقة الإنسانية الصحيحة في الحياة، فالتربية والديمقراطية مترادفتان، لأن كل منهما يعبر عن الجانب العملي للفلسفة، وأن المدرسة هي مجتمع مصغر عن المجتمع الكبير، فالتلميذ هو رجل

المستقبل ومهندس صناعته، ولذلك وجب الاهتمام بالمناهج التربوية وفق مايحقق مصلحة الفرد ومتطلبات المجتمع وذلك من أجل تحقيق التطور والتنمية المطلوبة وذلك لأن المجتمع في تطور وتغيير مستمر وبهذا يكون لكل مجتمع خبرته البشرية الخاصة به وبذلك لا يجب إخضاع الحاضر للماضي والقياس عليه، فسبب عدم تطور الميتافيزيقية والعلوم في القديم هو عدم ربطها بالواقع وعدم ربطها بالمشاكل لإيجاد الحلول، لأن مهمة العلم هو إيجاد الحل للمشاكل التي تعيق طريق الفرد والمجتمع، ولذلك نجد الفيلسوف الميتافيزيقي يثير كثيرًا من المشكلات العقيمة التي لا تقبل الحل ويكون إيجاد الحل عن طريق التجربة التي تعطي الإنسان الخبرة التي تمكنه من إيجاد الحلول وهذه الخبرة هي مرتبطة بالطبيعة وبالواقع وبالتالي فالخبرة جزء لا يتجزء من الطبيعة، فهي بمثابة بحث إيجابي فعال، فهي ذلك التفاعل الحيوي الذي يتم بين الكائن وبيئته سواء كانت هذه البيئة مادية أم اجتماعية.

وهذه الخبرة تتغير وتتطور وفق المشكلات التي تواجه المجتمع الديمقراطي الحديث في عصر الثورة الصناعية والتكنولوجية، وجعل "ديوي" الاداتية منهجًا يكون بمثابة نظرية في الأشكال العامة للتصور والاستدلال وكذا في الأحكام الأخلاقية كما نجد "ديوي" قد اهتم "بالقيمة" وربطها بالسلوك البشري والخبرة البشرية خاصة في دراساته الأخلاقية والتربوية والاجتماعية والسياسية وبالتالي فقد اتخذ من مبدأ "النتائج" منهجًا عامًا للنقد الاجتماعي والتقييم الأخلاقي، فليس من الغرابة في شيء أن ينهج "ديوي" في فلسفة هذا المنهج لأن المهمة الأولى التي تقع على عاتق الفيلسوف في رأيه إنما هي مهمة "التقييم النقدي للتجربة"، على إعتبار أن الفلسفة في أصلها عبارة عن عملية إعادة بناء مستمرة للخبرة البشرية.

وخلاصة القول أن فكر "ديوي" هو فكر براجماتي عملي، ففلسفته لا تقتصر على قيمة الفكرة في الإشباع التي تحقق لنا، بل في القيمة الوظيفية لتلك الفكرة حين تجيء فتحل الصراع أو الإشكال الذي أريد لها أن تحله، فالبرجماتية واضحة ومتجلية في كل فكر "جون ديوي"، ولذلك فهو يريد من المجتمع أن يتطور ويستمر في تحقيق النجاح من أجل نيل الحياة السعيدة وتحقيق الرفاهية والعيش في مجتمع صناعي ديمقراطي مثل المجتمع الذي تعيش فيه أمريكا في الوقت الراهن

وهذا الفكر البرجماتي "لجون ديوي" قد يقدم مجتمع دون غيره وذلك لأن فلسفته تأثرت بالمجتمع الذي نشأ فيه، فليست كل المجتمعات أمريكا، كما أن منهجه في التربية لا يخدم الكثير من المجتمع خاصة العالم الإسلامي، نظرًا لأهمية الدين في التربية واكتساب القيم والأخلاق وإعطاء أهمية كبيرة في ذلك الجانب، على عكس ما يريده "جون ديوي" في ربط القيمة بالنتائج، والأخلاق بالواقع وبما تحققه لنا من مصلحة ومنفعة، كما ينتقد "جون ديوي" الميتافيزيقا والدين، وكذا التعلق بالماضي، أما في الإسلام فإن الجانب الإيماني والروحاني له دوره في إصلاح الفرد والمجتمع، أما الدين فهو الركيزة الأساسية لهذه المجتمعات وبدونه يختل النظام وسائر أخلاق القيم.

أما الماضي الذي يمثل تاريخ الأمة ومجدها فلا يمكن الاستغناء عنه، وقد يكون "جون ديوي" انتقد الماضي ربما لأن أمريكا دولة حديثة النشأة وليس لها تاريخ، أما العالم الإسلامي فتاريخ العلم عندها يبهر الباحث، ولذلك لا وجود لوجه المقارنة بين المجتمع الأمريكي والمجتمع الإسلامي ولهذا ففكر "جون ديوي" هو فكر جيد في المجتمع الأمريكي ويصلح له أكثر، أما المجتمع الإسلامي فعليه أن يبحث فيما يخدم مجتمعه وفق التطور والتغيير الحاصل في العالم لكي يواكب العصر دون مخالفة الدين الإسلامي أو قيم وأخلاق المجتمع المحافظ، وهذا لا يعني أننا لا يمكن أن نستفيد من فكر "جون ديوي"، بل يمكن الأخذ لكثير من أفكاره لتحقيق التقدم والتطور المطلوب وذلك لأن "الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أولى الناس بها".

فهرس الأعلام

- آدم سميث Adam Smith (1723-1790) كان فيلسوف ومن كبار المفكرين في الاقتصاد السياسي هو صاحب كتب نظرية المشاعر الأخلاقية والتحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم ومن مفكري الليبرالية الكلاسيكية وأبو الرأسمالية.
- آرسطو Aristot (322ق.م-384ق.م) فيلسوف إغريقي، تلميذ أفلاطون ومعلم الأسكندر الأكبر واحد من أهم الشخصيات في الفلسفة الغربية، كتب في العديد من المواضيع منها: علوم الفيزياء والميتافيزيقا، الشعر والمسرح، المنطق والسياسة.
- أفلاطون Platon (347ق.م-427ق.م) فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضي، كاتب لعدد من المحاورات الفلسفية ويعتبر مؤسس لأكاديمية أثينا التي هي أول معهد للتعليم العالي في الغرب، وضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم.
- أورفيل رايت Orvil Rite من مواليد1871 توفي في1948 من المعززين بالخبرة في مجال الميكانيك وكان يشتغل صانع وميكانيكي وكذلك رسام.
- إيمانويل كانت Immanuel kant (1724-1804) فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر وكان آخر فلاسفة عصر التنوير، طرح منظورا جديدا في الفلسفة أثر ولا يزال يؤثر في الفلسفة الأوروبية.
- بتراند ويليم راسل Bertrand Russeull (1872-170) فيلسوف وعالم منطق ورياضي، ومؤرخ، ناقد إجتماعي بريطاني، قاد الثورة البريطانية ضد المثالية يعد أحد مؤسسي الفلسفة التحليلية.
- برتاغوراس Protagoras (487ق.م-420ق.م) هو زعيم الفكر السفسطائي في القرن الخامس وتعتبر أفكاره هي أساس أفكار السفسطائيين، كان يعتقد الإنسان هو مقياس كل شيء .
- تشارلز روبرت داروين Charles Robert Darwin (1872-1970) عالم تاريخي طبيعي وجيولوجي ولد في إنجلترى، إكتسب شهرته كمؤسس لنظرية التطور ويعد من أشهر علماء الأحياء.

- جورج بركلي George Berkeley (1685-1753) فيلسوفا بريطانيا يعتبر من أهم مساندي الرؤية الجوهرية في القرن الثامن عشر لبيركلي أيضا أعمال في الرياضيات والإبسمولوجيا.
- جورج ويلهام فريديريك هيجل George Willham Friddrick Heagle (1770-1831) هو من أبرز ممثلي الفلسفة الكلاسيكية الألمانية وقد كان أول مؤلف له "فينومولوجيا الروح" ثم أصدر بعد ذلك مؤلفه الضخم "علم المنطق.
- جورجياس Georgeas من مواليد 485ق.م تتلمذ على يد زينون الإيلي، إشتهر كخطيب ومتحدث كبير، فتح مدرسة في أثينا، ويقال أنه مات معمرا نحو مئة عام في مدينة لاريسه في تساليا.
- جون جاك روسو John Jack Rossou (1712-1778) كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر العقل وهي فترة من التاريخ الأوروبي، ساعدي فلسفته في تشكيل الأحداث السياسية التي أدت لقيام الثورة الفرنسية.
- جون ديوي John Dewey (1859-1952) هو مرب وفيلسوف وعالم نفس أمريكي وزعيم من زعماء الفسفة البرجماتية ويعتبر من أوائل المؤسسين لها ويقال هو من أطال عمر هذه الفلسفة وأستطاع أن يستخدم بلياقة كلمتين قريبتين من الشعب الأمريكي هما "العلم"و"الديمقراطية".
- جون لوك John Locke (1632-1704) هو فيلسوف تجريبي ومفكر سياسي إنجليزي تولي عددا من المناصب الحكومية وكان طبيبا ثم وزيرا للعدل ولعب دورا في الأحداث السياسية.
- جيرمي بنتام Jeremy Bentham (1748-1832) هو عالم قانون وفيلسوف إنجليزي، ومصلح قانوني واجتماعي، وكان المنظر في فلسفة القانون الأنجلو أمريكي.
- ديفيد هيوم David Hume (1711-1776) فيلسوف وإقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية تأثر بالتجريبيين وبكتاب فرنسيين وبمفكرين إنجليز مثل: إسحاق نيوتن.

- رودولف شتاينر Rudolf Steiner (1861-1925) كان فيلسوفا واجتماعيا ومفكر ومهندس معماري نمساوي وعرف كناقد أدبي وفيلسوف ثقافي في القرن العشرين، أسس حركة روحية الأنثروبوسوفيا بوصفها فلسفة باطنية نشأت من الفلسفة المتعالية الاوروبية مع وصلات إلى فكر التصوف.
- زينون الإيلي(490ق.م-430ق.م) أحد فلاسفة ما قبل سقراط عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وهو من أنصار بارمنيدس، في أن عالم الحس وهم باطل وله نظريات عديدة منها نفيه للحركة.
- شارلوك هولمز Sherlok Holmes شخصية خيالية لمحقق من أواخر القرن التاسع عشر ابتكرها الكاتب سير آرثر وظهرت الشخصية لأول مرة في 1887.
- شالرز ساندرز بيرس Charles Sanders Peirce (10سبتمبر1839-19أفريل1914) فيلسوف أمريكي مؤسس الفعلانية أعيد اكتشاف فكره بحيث صار أحد كبار المجددين، خصوصا في منهجية البحث وفلسفة العلوم.
- فريديريتش شيلر Friedrich Schiller (1759-1805) هو شاعر ومسرحي كلاسيكي وفيلسوف ومؤرخ ألماني يعتبر من مؤسسي الحركة الكلاسيكية في الأدب الألماني.
- فيثاغورس Pythagore (495ق.م-570ق.م) فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، مؤسس الحركة الفيثاغورية كما يعرف بمعادلته الشهيرة نظرية فيثاغورس.
- كارل هانريك ماركس Karl Heinrich Marx (1818-1883) فيلسوف ألماني واقتصادي وعالم اجتماع وصحفي واشتراكي ثوري، لعبت أفكاره دورا هاما في تأسيس علم الاجتماع واعتبر أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ نشر العديد من الكتب خلال حياته أهمها بيان الحزب الشيوعي ورأس المال
- لوي أجاسيزت Loe Ogasist عالم فرنسي في النبات والحيوان.

- ليبتنز غوتفريد فلهيم Leibniz Gottfried Wilhem (1646-1716) فيلسوف ألماني، حصل على الدكتوراه في القانون ورفض العمل أستاذا للقانونليلتحق بالسلك الدبلوماسي من أهم أعماله: وضع أسس التحليل.
- وليم جيمس William James (1898-1944)فيلسوف أمريكي ومن رواد علم النفس الحديث وعلم النفس التربوي والفلسفة البرجماتية وهو فيلسوف الحرية وله العديد من المؤلفات منها:الإرادة، مبادئ علم النفس، الرجماتية.
- وليم هنت William Hunt هو رسام موضوعات دينية.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- إميل بوترو، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، تر: أحمد فؤاد الأهواني الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة 1973 ب. ف. سكينر، تكنولوجيا السلوك الإنساني، تر: عبد القادر يوسف، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت سلسلة عالم المعرفة، العدد 32، أغسطس 1980.
- بتراند راسل، حكمة الغرب،ج2، تر: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة العدد72، بتاريخ ديسمبر 1983.
- برتراند رسل، حكمة الغرب- الفلسفة الحديثة والمعاصرة، تر: فؤاد زكريا، مطابع الرسالة، الكويت.
- جان- بول- رزقبر، فلسفة القيم، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2001.
- جان فرانسودورتيي، فلسفة عصرنا، تر: ابراهيم صحراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 سنة 2009.
- جون ديوي، إعادة بناء الفلسفة، تر: أحمد الأنصاري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1،سنة 2010.
- جون ديوي، الحرية والثقافة، تر: أمين مرسي قنديل، مطبعة التحرير، مصر.
- جون ديوي، الطبيعة الإنسانية والسلوك الإنساني، تر:مُحَمَّد لبيب النجيجي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة نيويورك، سنة1963.
- جون ديوي، المدرسة والمجتمع تر: أحمد حسن الرحيم، مكتبة الحياة، للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2. 1978.
- جون ماكوري، الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، العدد 58، أكتوبر 1982.

❖ دينيس لويد، فكرة القانون، تر: سليم الصويص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، العدد 47، نوفمبر1981.

❖ رودرك- م- تشيزهولم، نظرية المعرفة، تر: نجيب الحصادي، الدار الدولية للنشر والتوزيع، مصر، كندا.

❖ رينيه ويليك، مفاهيم نقدية، تر: مُحَمَّد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، بيروت، سلسلة عالم المعرفة العدد110، فبراير 1987.

❖ كاقين رايلي، الغرب والعالم، تر: عبد الوهاب مُحَمَّد المسيري وهدى عبد السميع حجازي، مراجعة: فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت.

❖ كرين برينتون، تشكيل العقل الحديث، تر: شوقي جلال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة. الكويت، العدد 82 - أكتوبر 1984. وليام كلي رايت، تر: محمود سيد أحمد، التنويع للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 2010.

❖ ماكس بيروتي، ضرورة العلم، تر: وائل أتاس وبسام معصراني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، موسوعة عالم المعرفة، العدد 245، ماي 1999.

❖ وليام جيمس، البراجماتية، تر: مُحَمَّد علي العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.

❖ ويل ديورانت، قصة الفلسفة، تر: فتح الله مُحَمَّد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1988.

❖ ويلتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1984.

المراجع:

- أبو زيد بن مُحَمَّد مكي، ظاهرة الصراع في الفكر الغربي بين الفردية والجماعية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة
- أحمد فؤاد الأهواني، جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، ط3، سنة 1968.
- أحمد مُحَمَّد المعتوق، الحصيلة اللغوية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد212 أغسطس 1996.
- إسماعيل مظهر، فلسفة اللذة والألم، مطبعة حجازي بالقاهرة، سنة 1936.
- أمين أنور الخولي، الرياضة والمجتمع، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد216 ديسمبر1996.
- البراجماتية عرض ونقد، منصور بن عبد العزيز الحجيلي، أستاذ بجامعة طيبة،مجلة الدراسات العقدية، العدد الرابع، المدينة المنورة.
- توفيق الطويل، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، ط1، نوفمبر1953.
- حسن الحنفي، في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، سنة 1990.
- حسن الحنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدرا الفنية للنشر والتوزيع، سنة 1991.
- حسين مؤنس، الحضارة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 01، يناير1978
- زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، دار مصر للطباعة، سنة 1971.
- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، دار الشروق، بيروت، ط2، سنة1982.
- زكي نجيب محمود، نافذة على فلسفة العصر، سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي، الكويت، العدد27، 15أفريل 1990.

❖ زهير الكرمي، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، العدد05، ماي 1978.

❖ سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، العدد111، ماي 1987.

❖ شاكر عبد الحميد، التفضيل الجمالي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد267 مارس 2001.

❖ عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى فلسفة، الناشر. وكالة المطبوعات، ط2، سنة 1975.

❖ عبد الفتاح الديدي، الإتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، سنة 1985.

❖ عبد اللطيف مُحَّد خليفة، إرتقاء القيم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، كويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد160.

❖ عبد الوهاب جعفر، مقالات الفكر الفلسفي المعاصر، دار المعرفة الجامغية الإسكندرية، مصر.

❖ علي عبد المعطي مُحَّد، أعلام الفلسفة الحديثة-ج2، دار المعرفة الجامعية، مصر، سنة 1997.

❖ فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 03، مارس 1978.

❖ فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، سنة 1990.

❖ مُحَّد الجديدي، فلسفة الخبرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، تونس، سنة 2004.

❖ مُحَّد الخطيب، الفكر الإغريقي منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1. 1999.

❖ مُحَّد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار ومكتبة الهلال، ودار الجواد، بيروت، لبنان.

❖ مُحَمَّد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، يونيو 1997.

❖ مُحَمَّد مهران رشوان، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة1984.

❖ نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد 265، يناير2001.

و الدراسات الإسلامية، العدد 48، ذو الحجة.

❖ يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1993.

❖ يحي هويدي، مقدمة في الفلسفة العامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط9، سنة1989.

❖ يعقوب فام، البراجماتية أو مذهب الذرائع، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، سنة1936.

❖ يمنى طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الفاهرة، مصر، سنة2014.

❖ يوسف السيسي، دعوة إلى الموسيقى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد 46، أكتوبر 1981.

❖ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، سنة 1936.

المعاجم والقواميس:

❖ أطلس الفلسفة، تر: جورج كتورة، المكتبة الشرقية، لبنان،ط2، سنة2008.

❖ جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، سنة 1982.

❖ قاموس جون ديوي للتربية (مختارات من مؤلفاته) جمعها: رالف. ن. وين، تر: مُحَمَّد علي العريان، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك، سنة 1964.

❖ مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة سنة 2007.

❖ معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، سنة2006.

❖ المعجم الفلسفي، تصدير إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة، سنة 1983.

الموسوعات:

❖ دليل أكسفورد للفلسفة، تحرير تدهوندرتش، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، تر: نجيب الحصادي، ج1

❖ موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ج1، مؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، سنة1984.

❖ الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل وآخرون، مراجعة د. زكي نجيب محمود، دار القلم بيروت، لبنان.

المقالات:

❖ مقال تحت عنوان: الذرائعية (البراجماتية)، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، موقع صيد الفوائد www.saaid.net

❖ مقال لعبير توفيق، تحت عنوان: طريقة جون ديوي في التعلم، الموقع: المنتديات التربوية والتعلمية، بتاريخ05-05- 2014 الساعة:03:13 www.amal-alkahtani.com

المذكرات:

❖ براجماتيه وليم جيمس، دراسة تحليلية نقدية، (رسالة ماجستير) للطالبة أم كلتوم يوسف ابراهيم أحمد، كلية الآدات، جامعة الخرطوم سنة 2004.

❖ الفردية في الفلسفة البرجماتيه، دراسة تحليلية ناقدة(رسالة ماجستير) للطالب نايف بن عبد الرازق بن حمادي، كلية التربية جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة1433هـ

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات **الصفحة**

إهداء

كلمة شكر

مقدمة..... أ

الفصل الأول: الجذور الفكرية للفلسفة البراجماتية 02

المبحث الأول: نشأت البراجماتية..... 3

أ- نشأتها 3

ب- مفهومها..... 4

جـ- علاقتها مع الفلسفات القديمة..... 6

المبحث الثاني: ابرز مبادئ البراجماتية..... 10

أ- عند بيرس..... 10

ب- عند وليم جيمس 11

جـ- عند جون ديوي..... 12

المبحث الثالث: رواد الفلسفة البراجماتية..... 14

أ- بيرس..... 14

ب- وليم جيمس..... 21

جـ- جون ديوي..... 30

الفصل الثاني: تأسيس جون ديوي للفلسفة العلمية 43

المبحث الأول: نظرية المعرفة عند جون ديوي..... 44

أ- المعرفة..... 44

ب- الحقيقة..... 48

جـ- الانسان..... 50

د- الكون..... 52

المبحث الثاني: نظرية العلم عند جون ديوي..... 57

أ- العلم..... 57

ب- المنهج..... 60
ج- الأداتية..... 63
د- القيم..... 66
المبحث الثالث: نظرية المنطق عند جون ديوي..... 70
أ- المنطق 70

الفصل الثالث: القيمة الابستمولوجية لنظرية العلم عند جون ديوي 88

المبحث الأول: الأبعاد والافاق..... 89
أ- التربية..... 89
ب- الديمقراطية والسياسة..... 94
ج- الأخلاق..... 96
د- الفن 98
هـ- الثقافة والدين..... 100
المبحث الثاني: النقد (رؤية موضوعية واخرى شخصية)..... 102
خاتمة..... 118
فهرس الاعلام..... 122
قائمة المصادر والمراجع..... 127